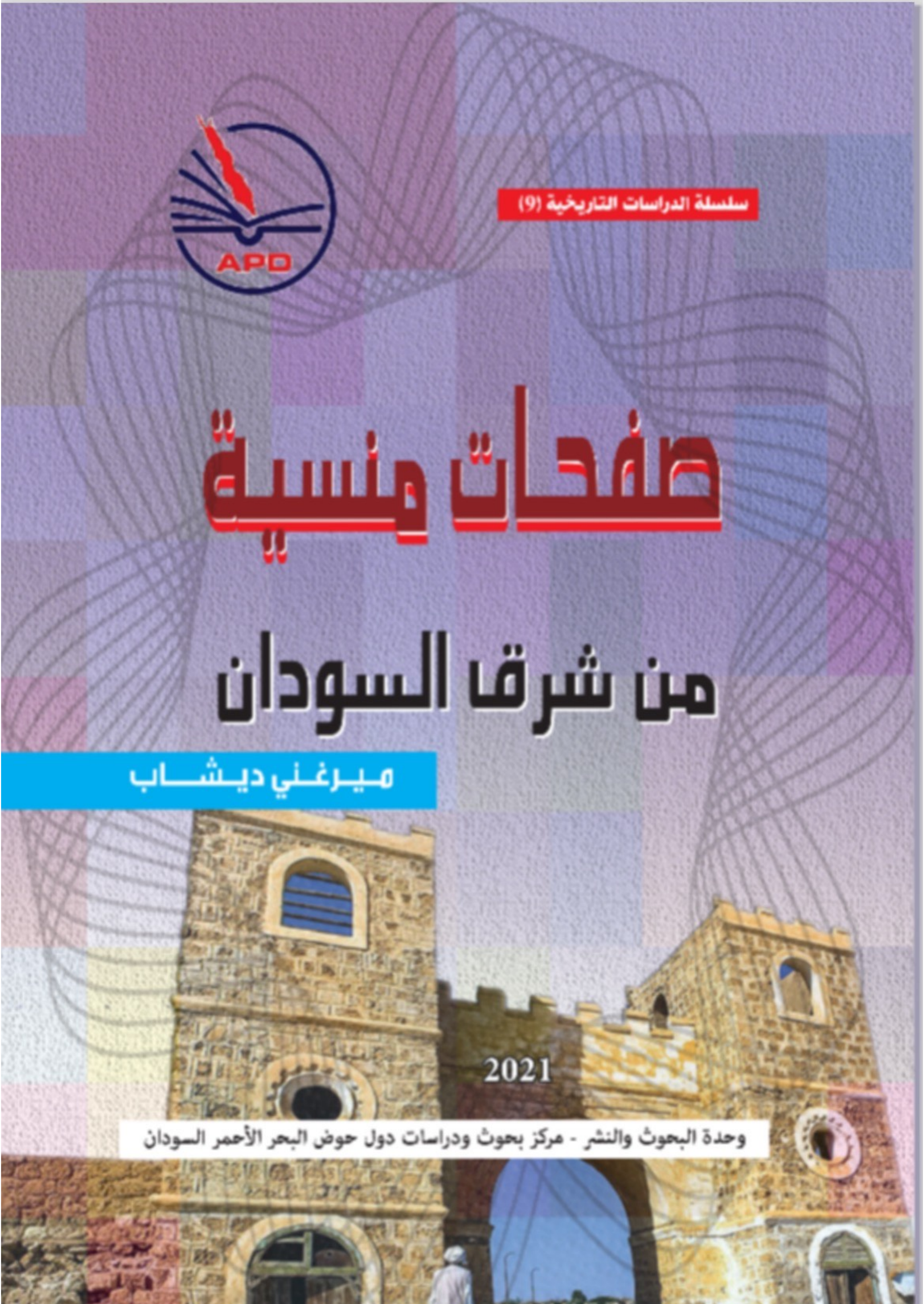

APD
سلسلة الدراسات التاريخية (9)
صفحات منسية
من شرق السودان
ميرغني ديشاب
2021
وحدة البحوث والنشر - مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر السودان

سلسلة الدراسات التاريخية (9)

صفحات منسية
من شرق السودان

أ. ميرغني ديشاب

الطبعة الأولى 2021م

الكتاب : صفحات منسية من شرق السودان

الكاتب : أ. ميرغني ديشاب

تاريخ النشر : الطبعة الأولى 2021م

رقم الإيداع : (770/ 2021)

التصميم والإخراج: عادل محمد عبد القادر

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر-السودان

962.9 ميرغني محمد عثمان ديشاب، 1953 -

م م.ص

صفحات منسية من شرق السودان/ميرغني محمد عثمان ديشاب.- ط1. - الخرطوم: دار آريثيريا، 2021.

100 ص؛ 24 سم.

ردمك ISBN 978-99988-0-377-0

1. شرق السودان- تاريخ. أ. العنوان.



دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution



كلمة الناشر

الحمـداالله رب العالمـين والصـلاة والسـلام عـلى سـيدنا محمـد وعـلى آلـه وصحبـه أجمعـين وبعـد،

القارئ الكريم،

سلسـلة الدراسـات التاريخيـة هـي مجموعـة مـن الدراسـات والبحـوث العلميـة الرصينـة الهادفـة، عملـت دار آرثيريـا للنشـر والتوزيع على تبنيها والاهتمام بها ونشرها؛ خدمـة للبحـث العلمـي فـي مجـال الدراسـات الانسانية والبحـوث التاريخيـة. وبين يديـك القـارئ الكريـم ثـاني إصـدارات هـذه السلسـلة وهـو كتـاب الأسـتاذ/ ميرغني ديشـاب، بعنـوان: صفحـات منسـية مـن شرق السـودان، . وسـيجد القـارئ انهـا سـياحة فكريـة وتاريخيـة ممتعـة بـين النظـم بأصولهـا وترتيباتهـا، والسياسـة بنكباتهـا ومآزقهـا، والثقافـة بتجلياتهـا وتأثيراتهـا، والمجتمـع بطبقاتـه واعيـاده، والقصـور برسـومها وتقاليدهـا، والناس بأزيائهم ومطاعمهم ومشاربهم. ولجـودة العمـل وجدتـه، ولمـا بـذل فيـه مـن جهـد كبيـر ومثابـرة؛ نتوقـع أن يجد القبـول والاستحسـان مـن المختصيـن والمفكريـن والباحثيـن فـي مجـال الدراسـات التاريخيـة بمختلـف توجهاتهـم.

القارئ الكريم:

ان دار آرثيريـا للنشـر والتوزيـع اذ تثمن المجهـودات العلميـة لجميـع الباحثيـن داخل وخارج الوطن العربي، تؤكـد بأنهـا سـوف تعمـل بـكل جـد واجتهـاد علـى توسيع قاعـدة النشـر العلمـي وإتاحتـه عبـر الـدار وشـركائها، لنشـر البحـوث التـي تسـهم فـي رفـد المكتبـة العربيـة والعالميـة بالجديـد المفيـد وبالدراسات الاصيلة والهادفة. القارئ الكريم يؤمن العالـم اليوم بالعمـل الجاد والبحوث العلمية الرصينة ذات المردود الايجابي علـى الفـرد والمجتمع، ومـن خـلال هـذا المبدأ سنعمـل دائما بحـول الله كـي تكـون الـدار منبـراً علميـاً يشـار إليـه بالبنـان. ومـن الله نرجو التوفيق واياه نسـأل الاعانة.



إلى الأستاذ الدكتور حاتم الصديق محمد أحمد

والدكتور عوض شبا،

وهما يزرعان بذرة طيبة في حقل

الدراسات العلمية من خلال مركز بحوث

ودراسات دول حوض البحر الأحمر ودار آريثيريا للنشر والتوزيع

المحتويات

المقدمة:

هـذا الكتـاب، يـأتي في خمسـة عناويـن، لم نشـا أن نحولهـا إلى فصـول أو أبـواب. ناقشـنا تحـت العنـوان الأول مـا كان مـن البجـا في مواطنهـم الحاليـة في أقـصى شرق السـودان وفي انتشـارهم في غـيره مـن المناطـق قديـماً وحديثـاً، ووقفنـا عنـد الوجـود العـربي هنـاك وتوصلنـا إلى أن عـرب ربيعـة وجهينـة - عـلى الرغـم مـن طفـح المصـادر التاريخيـة بمصاهـرة البجـا - إلا أنهـا يجـب أن تؤخـذ بحـذر، وسـيجد القـارئ الكريـم حديثـاً في ذلـك.

لقـد بـدأ الرشـايدة، بعـد هجرتهـم إلى سـاحل البحـر الأحمـر الغـربي كأول مـن سـاهموا في تحـول اقتصـادي في ذلـك السـاحل، فقـد فطنـوا إلى ميـاه الأوديـة السـائلة صيفـاً وشـتاء في منحـدرات جبـال البحـر الأحمـر المشـهورة، فقـد نهضـت الزراعـة هنـاك عـلى أيديهـم قبـل منتصـف القـرن التاسـع عشر بقليـل، وقـد أحيـوا هنـاك قديـم تجارتهـم مـن السـاحل الشرقـي للسـاحل الغـربي عـن طريـق المراكـب الشراعيـة التـي اشـتهروا بهـا، وكانـوا قـد سـبقوا في إنشـاء الموانـئ الأهليـة في ذلـك السـاحل.

كان ميناء بورتسـودان الـذي أنشـأه العهـد الإنجليـزي المـصري في عـام 1906م، في موضـع مرسـى الشـيخ برغـوث مـن الرشـايدة إذ حـوّل ذلـك اسـتراتيجية حـدس الشـيخ برغـوث بصـلاح المـكان إلى ميناء للسـودان، ولم يكـن الشـيخ برغـوث وحـده في ميدان إقامـة المـراسي، الموانـئ التقليديـة الهليـة، فقـد سـاهم معـه آخـرون مـن أهلـه. ولعـل كبـار السـن مـن البجـا يذكـرون هـذا الصنيـع حتـى الآن. ونحـن - في دراسـتنا السـابقة للرشـايدة - توخينـا إبانـة ذلـك، فإنـه لم يـدرس مـن قبـل.

لقـد نبهنـا في هـذا الكتـاب إلى ضرورة الحـذر تجـاه مـا جـاء مـن تاريـخ وفـق منظـور المركزيـة الأوربيـة. ويقـرأ تعبـير (المركزيـة الأوروبيـة) هنـا في دلالتـه عـلى (المدرسـة الأوروبيـة في كتابـة التاريـخ). ويـأتي طلبنـا الحـذر إزاءه، مـن أنهـا تـرى في الإنسـان الأفريقـي إنسـاناً وحشـياً متخلفـاً لا قـدرة لـه عـلى إقامـة حضـارة ولا شيء عنـده مـن تَمَدُيُـن. وليـس ذلـك صوابـاً أبـداً إذا راجعنـا مـا جـاء عنـد المفكـر الأفريقـي شـيخ أنتـا ديـوب الـذي دحـض مـا عليـه الأوروبيـون في كتابـه (الأصـل الأفريقـي للحضـارة).

يكاد يكون تاريخ السودان كله مكتوباً وفق فهم المركزية الأوروبية لأهل أفريقيا كزنوج. فإذا أخذنا السودان - مثلاً - نجد أنه اسم وصفي لأهله جمعاً للفظ (أسود)، فإذا كان السودانيون قد سموا أنفسهم بهذا الاسم، السودان، فإنه بعيد أن يجعل أي فرد هويته سودانية، لأنه اسم يشير إلى الرقيق في زمان غير بعيد. لهذا، ولتغذية المركزية الأوروبية لهذا الاتجاه، صار التشبث بالنسب العربي رائجاً في هذه البلاد.

المركزية الأفريقية لا ترى أن منبع الحضارة أفريقيا فحسب، بل تعمل على تفكيك مدونات المركزية الأوربية وأولها حضارة مصر القديمة التي يرى الأوروبيون قيادتها لحضارة جاراتها كالسودانيين وغيرهم. ولما كانت المركزية الأفريقية من أعمال الشيخ أنتا ديوب، وكان فيزيائياً ودرس في السوربون، فقد صنع معملاً للكشف عن المومياءات، وكشف مومياءات ملوك مصر، فإذا كلهم سود، وهي تابعة للحضارة النوبية السودانية لا سابقة لها.

أندرو بول، كان إدارياً في البحر الأحمر وكسلا زمن الإنجليز. وهو قد أرخ للبجا في كتابه (تاريخ قبائل البجا في شرق السودان). وقد كان أوروبياً قحاً، كتب تاريخ هذه القبائل برؤيته الأوروبية، حتى لقد اضطر مترجم كتابه - الذي أخذنا عنه وأشرنا إليه كثيراً في هذا الكتاب - اضطر لحذف تعابير تسيئ إلى البجا، أو رأى أنها تسيئ إليهم.

يعبّر تعبير (صفحات منسية في شرق السودان) عنوان هذا الكتاب، فيما نرى، عن كثير مما لم يأت عن شرق السودان وقبائله وأهله. وقد كان الوجود البجاوي في حوض النيل من أهداف هذا الكتاب، وكذلك التعريف بهذه القبائل ككيانات بشرية يراوح التأريخ لها في حدود أندرو بول وكتاب من شرق السودان. لكننا - في قراءتنا لها - لم نسلّم بكثير من الافادات التاريخية عنها بل عملنا على تحليل هذه الافادات: إلا أنها إفادات الأكسوميين الحاسمة.

لقد أفدنا كثيراً وأخذنا عن د. مصطفى محمد مسعد، وهارولد ماكمايكل، وأندرو بول، وعرجنا على مؤلفات محمد سليمان صالح ضرار ود. أحمد الياس حسين ومصادر أخرى كانت رافدة لنا في كتابنا هذا، فالشكر لأصحابها.

وقد حاولنا الإسهاب - قدر الاستطاعة - في وجود البجا في حوض النيل، وذلك ثابت، وعرضنا امكان التأثير والتأثر بين البجا والنوبيين في مجال اللغة، واستطعنا الوقوف على قدر قليل من المشترك اللفظي بينهما داعين إلى دراسات أشمل وأعمق في هذا الخصوص.

في تاريخ البجا

كان مدخلنا للبحث في تاريخ البجا مقالنا في جريدة السوداني بتاريخ السادس من ابريل عام 2012م، تحت عنوان (هل كان البجا سادة أرض البطانة؟). وكان هذا المقال قد طرح للنقاش أصلاً. ذلك أننا وجدنا في تاريخ الشكرية - خاصة في شعر شعرائها - ما يؤرخ - شعراً - إجلاء البجا عن شرق أرض البطانة حيث اتخذوا شواطئ نهر عطبرة مرعى لإبلهم ومواشيهم.

لم يناقش أحدهم ذلك السؤال على الرغم من أن المقال كان يقترح في تسجيل الشكرية - حكام أرض البطانة - أرضها منذ عام 1791م في عهد الملك بادى ولد دكين ملك السلطنة الزرقاء، وكنا قد أتبعنا ذلك المقال بدراسة حملت عنوان (البجاوية في شعر بوادي السودان)،[1].وقد قرأت هذه الدراسة المفردات البجاوية في شعر الشكرية البدوي، ورأينا أن مخلفات تأثير البجا في لغة أرض البطانة من المهم دراستها وفق سؤالنا الذي أوردناه ودراستنا اللاحقة له.

إن اعتقادنا جازم بأن العرب الذين هاجروا إلى السودان عن طريق البحر الأحمر كان أكثرهم من جهينة. يقول الباحث محمود محمد حسن (عروبة السودان بأكثرها قضاعية بل وجهينة المنزع تحديداً، بشوبٍ من أسد. وتشير كتب الأنساب إلى أوزاع من فزارة في غرب السودان. وقبيلة جهينة راسخة الاسلام تمسكت به حين ارتدت قبائل كثيرة في صدر الاسلام).[2]

هؤلاء العرب الذين هاجروا إلى السودان - إن كان غالبهم من جهينة حقاً، قد كانت لغاتهم لغات جنوب الجزيرة العربية - اليمن - وهي الحميرية والحضرمية والنبطية. وهي لغات قحطانية لا عدنانية. وقد كان - فيما نرى - تلاشي هذه اللغات في السودان نسبة لاصطدامها باللغات السائدة في السودان. ومن هذه اللغات البجاوية والنوبية.

---

1) ميرغني ديشاب – البجاوية في شعر بوادي السودان – محفوظ.

2)محمود محمد حسن – القضايا العربية في الشعر السوداني – منشورات ملتقى الخرطوم لنقد الشعر السوداني – بيت الشعر – ص 77.

يقول الشيخ محمد النور بن ضيف الله في كتاب الطبقات في إفاداته عن المفردات السودانية - غير العربية - المنشرة في كتابه - كنماذج - أن كتابه (تنتشر فيه الكلمات البجاوية كعتنيب وعنقريب وعتمور، والنوبية كنابري وقيلي وويكه ونَسيِّ).[1]. يذكر ذلك كنماذج - كما قلنا - لكن المفردات التي نجدها في عمية السودان العربية من نوبية وبجاوية لا تعد.

تلاشي لغات عرب جهية في السودان جاء عن سيادة لغوية منذ بداية الوجود العربي في السودان حتى القرن السادس عشر الميلادي تقريباً، الزمان الذي قامت فيه سلطنة الفونج. وبيان ذلك واضح في بعض شعر الشاعرة الكاهلية شغبة المرغمابية عندما تقول:

هبت هبوب اهلي ومَلَت نَفَسي

ومن رطني الضناقلة وا كتير هوسي

بدور الخلفه المساري والجمل راديه

بدور الحوار في كبد الشبك رَفَسِيه

قالت ذلك وكانت مسجونة في سنار لبعض جرائرها، فقد كانت امرأة داعية حرب لقبيلتهاز وهي تشمئز هنا من (رطني الضناقلة، كعربية صميمة تضيق من هذه الرطانات حولها.[2]. هذه واحدة، وهي بخصوص اللغة النوبية. أما اللغة البجاوية، فقد كانت ممتدة إلى الجنوب كثيراً. ففي سيرة الشيخ البجاوي عبدالله بن حمد بن عبدالماجد في كتاب الطبقات أنه (جلس للتدريس بعد عمه مصطفى، والحلقات الاثنين بالعربية والحلنقية).[3]. ويعني هذا أن لغة البجا الحلنقية قد امتدت حتى بربر موضع تدريس الشيخ عبدالله بن حمد ود عبدالماجد.

وفي البجا - في تاريخهم الطويل ليس في شرق السودان فحسب، بل في حوض النيل أيضاً - أهل دين. فقد ترجم كتاب الطبقات لسبعة منهم هم:

1)الطبقات – ص 22.

2)ميرغني ديشاب – النوبية في عامية السودان العربية – ص 19.

3)الطبقات – ص 281.

- عبدالله ود علي الحلنقي (ص 265).
- عبدالسلام البجاوي (ص 147).
- عبدالله ود حمد ود عبدالماجد (ص 281).
- عبدالله جميل التاكا (ص 200=201).
- عبدالنور ولد ابيض (ص 293).
- محمد ولد فايد (ص 323).
- مضوي بن محمد اكداوي (ص 401).

مع هذا، لا ينبغي أن يذهب القارئ الكريم إلى أن العرب هم من نشروا الاسلام واللغة العربية في السودان، وهو قول دائم الورود في كتابات المؤرخين. فقد كان بين العرب وأهل البلاد حاجز اللغة على الأقل، فلا أهل البلاد لهم علم باللغة العربية - كيفما كانت - ولا العرب يعرفون لغات أهل البلاد، ولهذا، لا ينبغي ان نسلم بنشر العرب الاسلام واللغة العربية في هذه البلاد.

في هذا، يأتي د. عبدالعظيم ميرغني إبراهيم بحديث يعطي العرب قدرة لنشرهما. فيذهب إلى أن عرب ربيعة (وسنأتي لتاريخهم في ديار البجا لاحقاً) تعلموا نوبية الكنوز كي ينشروا الاسلام ولغتهم في أوساط الكنوز. [1]. لكن السؤال هنا، في كم من السنين تعلم العرب لغات أهل البلاد خاصة إذا عرفنا أن العرب تدفقوا إلى السودان بعد اتفاقية البقط عام 652م وكان تمام الأسلمة لأهل البلاد في بدايات القرن السادس عشر بقيام دولة الفونج التي لم تكن اسلامية خالصة.؟. [2].

••

1) د. عبدالعظيم ميرغني إبراهيم – الكنوز – ص 154.

2) راجع جاي اسبولدنق – عصر البطولة في سنار – ص 46.

أول من ذكر البجا من المؤرخين العرب كان المسعودي. يقول: (مملكة البجة، وهي تلي النوبة، ليست واحدة بل ممالك عديدة. وهم بين النيل والبحر، وفي كل مملكة ملك، فأول ممالك البجة حد السودان، وهي آخر بلاد المسلمين، والمسلمون يعملون عندهم في المعادن، ووراء ذلك معادن ومعادن. [1]. وما يهمنا فيما قال المسعودي وجود البجا بين النيل والبحر، وأن البجا يلون النوبة، وعمل المسلمين في بلاد البجا في المعادن. وذلك كله في حاجة إلى نقاش.

وأول ما نناقشه هو الوجود البجاوي بين النيل والبحر. ويعني ذلك - مباشرة - أنهم كانوا في منطقة ما ليس لها اتصال بالبحر ولا النيل، فقد سكنوا بينهما، بعدت هذه السكنى من النيل والبحر أو قربت. وهذا يبعد فهمنا في وجود البجا في حوض النيل في زمان قديم، فما قال المسعودي يجعل المسألة بين بين. لكن تعبير أن البجا يلون النوبة يوضح الموضوع أكثر أما عمل المسلمين في المعادن في بلادهم، خاصة الذهب والزمرد، فهو صواب.

يشير إلى ذلك د. مصطفى محمد مسعد عندما يقول (اجتذبت المعادن إليها جماعات عربية قامت على استخراجها والاتجار فيها، واحتكر العرب هذه الصناعة لأن البجا - فيما يبدو - لم يهتموا كثيراً وربما كان الدافع لولاة مصر على التمكين للعرب من استغلال هذه المعادن مشاطرتهم أرباحها. [2].

إذن، كان الهدف من الوجود العربي في ديار البجا البحث عن المعادن، وذلك بعد أن اضطهدتهم السلطة في مصر فقد (ازداد إقبال العرب على أرض المعادن منذ عهد الخليفة المعتصم (833-842م) لأن الخليفة استكثر من الجند الأتراك وأثبتهم في الديوان وأمر واليه - أي والي الديوان - بإسقاط من في ديوان مصر من العرب وقطع العطاء عنهم). [3].

لقد كان إحلال الأتراك محل العرب في ديوان مصر، مدعاة لتحول العرب إلى بلاد البجا والنوبيين. ومن العرب الذين صار لهم صيت في بلادهما العمري الذي له

1) المسعودي – أخبار زمان – ص 42.

2) د. مصطفى محمد مسعد – الاسلام والنوبة في العصور الوسطى – ص 122.

3) مصطفى محمد مسعد – ص 122.

حضوره الطاغي في تاريخ البجا وتاريخ النوبة. فعقب تأسيس الدولة الطولونية على يد أحمد بن طولون سنة 868م، (أعلن عن إعداد حملة حربية إلى بلاد النوبة وأرض البجة بقيادة أبي عبدالرحمن عبدالله بن عبدالحميد العمري، فاشترك فيها كثير من العرب معظمهم من ربيعة وجهينة). [1].

يقول د. مصطفى محمد مسعد في التدفق العربي لبلاد البجا أنه (بهذا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل انتشار الثقافة الاسلامية إلى ما وراء حدود مصر الجنوبية، وروادها من أولئك الساخطين على الحكم التركي في مصر، والمغامرين الذين يجرون وراء الثروة حيثما وجدوا إليها سبيلاً. وكان هدفهم الكشف عن مناطق جديدة لمعدن الذهب في أرض البجة، والبحث عن مهاجر جديدة تتسع لهم بعد أن ضاقت بهم مصر).[2].ونقف هنا عند قوله (عن مرحلة جديدة من انتشار الثقافة الاسلامية إلى ما وراء حدود مصر الجنوبية). فكما قلنا من قبل، كان العرب من ربيعة وجهينة كما حددهم د. مصطفى مسعد، فهؤلاء العرب - سواء وجدوا في أرض البجا أو النوبة - هاربون من مصر لانقطاع العطاء عنهم، وكان بريق الذهب في ديار البجا وديار النوبة قد جذبهم إليه. ومثل هؤلاء، لا قبل لهم بنشر الاسلام فيما نرى، فهم طالبوا دنيا فيما هو واضح من تلهفّهم على الثروة.

في إطار البحث عن الثروة، كان قد (تقدم العمري جنباً سنة 868م متجاوزاً وادي العلاقي المشهور بالذهب والمعادن إلى إقليم شنقير (أبوحمد) واهتدى إلى مواقع جديدة للتبر تعرف بالشلّة قرب شنقير، وتمكن من الحصول على حق إقامة قواعد بعد تغلّبه على قوات جورج الأول ملك النوبة منتهزاً فرصة النزاع داخل البيت الملكي النوبي). [3].

إن وقوفنا عند (العمري) ناتج عن اختلاف الباحثين في سيرته. فمنهم من يراه مغامراً فحسب، ومنهم من يراه ناشراً للاسلام كالدكتور مصطفى محمد مسعد.

1)المصدر السابق – ص 124.

2)نفسه – ص 125.

3) مصطفى محمد مسعد – ص 125.

واللافت للنظر أن الدكتور مسعد يراه كما رآه رغم أنه ساق تعريفاً شاملاً له. ومن الخير أن نقف على هذا العريف.

يقول الدكتور مصطفى مسعد عنه (إن شخصية العمري الفذة وقوة شكيمته كانت من أعظم العوامل التي أدت إلى تحويل أنظار العرب إلى جهة الجنوب في النوبة وأرض البجة حيث استقرت أعداد كبيرة منهم. ويعتبر العمري أحد رواد الثقافة الاسلامية الأُول الذين يدين لهم النوبة والبجة للاسلام. ولد العمري في المدينة المنورة وترعرع فيها، ثم رحل إلى مدينة الفسطاط حيث اشتغل بدريس الحديث، ثم اتجه بعد ذلك إلى مدينة القيروان، ثم عاد إلى مصر، وهناك وصلته أنباء مناجم بالنوبة والعلاّقي فسال لعابه. وهكذا تحول رجل الدين إلى مغامر كبير، واجتمع إليه كثير من طلاب المعدن، وسار على رأسهم نحو النوبة وأرض البجة). [1]. وكان هذا العمري قد لقي حتفه قتلاً فيما بعد.

ما يقدح فيما قال د. مصطفى محمد مسعد بتركيزه على أن العمري - أو قل العرب - هم ناشروا دين الاسلام واللغة العربية في السودان - الحالي - يناقضه ما جاء به د. مصطفى محمد مسعد نفسه في حديثه عن الاسلام والنوبة - كمثال - وفي هذا، كان كتابنا (النوبيون والاسلام) الذي - الآن - في مراحله الأولى لطبعه إن شاء الله.

بعدما عد د. مسعد أفراد أهل الدين من النوبيين الذين كانوا في مصر ما بعد معاهدة البقط عام 652م، وذكر منهم يزيد بن أبي حبيب والفيض بن ثوبان (أو أبو الفيض) الملقب بذي النون المصري وتحية النوبية، حيث ترجم لهم جميعاً ترجمة شاملة قائلاً عن يزيد بن أبي حبيب أنه تتلمذ عليه من التلاميذ من أضحوا من أشهر فقهاء مصر: الليث بن سعد وعبدالله بن لهيعة). [2]. قال: (ليس من المستبعد أن يكون للعناصر النوبية التي ذكرنا - فضلاً عما قامت به في مصر - أثر واضح في نشر الاسلام والعروبة بين أهليهم في بلاد النوبة ذاتها حين يعاودهم الحنين لزيارتهم كما هي عادتهم حتى

1)مصطفى محمد مسعد- ص 125.

2) نفسه- ص 140.

الوقت الحاضر). [1]. فإن كان ذلك منذ القرن الثامن الميلادي الزمن الذي عاش فيه هؤلاء الفقهاء النوبيون في مصر، فإن دين الاسلام قد نشره النوبيون إضافة إلى اللغة العربية. ولا نستبعد ذات الأمر عند البجا.

••

وكانت قبيلة ربيعة من القبائل العربية التي لها دور في أرض البجا، وأرض النوبة. وقد عمد د. مصطفى محمد مسعد إلى تعريف قبيلة ربيعة هذه فقال (هاجر كثير من عرب ربيعة إلى بلاد الجزيرة [2] في القرن الخامس الميلادي حيث اعتنقوا المسيحية في القرن السابع الميلادي. وفي سنة 854م بدأت هجرتهم الكبرى إلى مصر ثم اندفعوا جنوباً واستقر عدد كبير منهم حول أسوان وشمال النوبة، وانضموا إلى جهينة في حملاتهم ضد البجا واستقر كثير منهم في أرض البجا للعمل في المعادن). [3].

وربما كانت قبيلة ربيعة هذه غريبة في الوسط العربي، فقد (هاجرت إلى الجزيرة). والراجح أنها الجزيرة العربية. وربما - أيضاً - كانت حديثة عهد بالمسيحية عندما هرولت إلى مناجم الذهب في صعيد مصر. فقد كانت قد اعتنقت المسيحية في القرن السابع الميلادي. وفي كل الأحوال، يحسبها د. مصطفى محمد مسعد ناشرة للاسلام.

على الرغم من صراع العربان حول مناجم الذهب لحيازتها، وتمكن فخذ من ربيعة بالانفراد بها بعد إخراج العرب من مواطنها، إلا أن هذا الفخذ من ربيعة (استمال إليه البجا وتصاهر إلى رؤساء البجا، وبذلك كف ضرهم عن المسلمين). [4]. كف ضرهم عن المسلمين؟، نعم. هكذا جاء عند د. مصطفى محمد مسعد. وهذا قد يعضد قولنا عن حداثة عهد بني ربيعة بدين المسيحية إن فعلوا ذلك.

1) مصطفى محمد مسعد – ص 141.

2) ربما يعني الجزيرة العربية.

3) د. مصطفى محمد مسعد – مصدر سابق – ص 162.

4) نفسه – ص 127.

لكن الوجود العربي في ديار البجا كان قد حرك اقتصاد المنطقة تحريكاً واضحاً. فقد صارت عيذاب، كميناء على البحر الأحمر، ميناء للتصدير مشهوراً. على أن ما جاء عن قبيلة ربيعة عند د. مصطفى محمد مسعد، يعتبر قليلاً قياساً إلى الأدوار التي لعبوها في أرض البجا. فهو قد ركز على دورهم في الاستيلاء على مناجم الذهب ومصاهرتهم البجا ونشرهم الاسلام واللغة العربية في أرض البجا وأهلها.

••

المؤرخ البجاوي محمد سليمان صالح ضرار يتحدث عن أهله البجا ويأتي بإفادات أعمق في رأينا وأشمل. فهو قد بدأ كتاباً له - نراه مهماً - بجغرافية شرق السودان ثم البجا وتاريخهم. يقول (يمتد شرق السودان موازياً للبحر الأحمر من بئر شلاتين شمالاً وحتى مصوع جنوباً. وتمتد حدوده غرباً غرب جبال البحر الأحمر حتى نهر عطبرة. وتتميز المنطقة الساحلية بالجفاف وتتخلل أراضيها الخيران التي تصب في البحر الأحمر ولا يوجد أي نوع من الزراعة على امتداد هذا الساحل القاحل، لكن هناك أمطار صيفاً شتاء حيث يزرع الناس في الخيران الذرة والدخن ويرعون فيها ماشيتهم.[1].

وسنجد فيما هو قادم أنه لم تكن هناك زراعة للذرة ولا الدخن حتى عام 1854م، على اختلاف في هذا التاريخ في خيران جبال البحر الأحمر ولا في الخيران الأخرى كخور بركة والقاش إلا بعد استصلاحهما كمشاريع زراعية في عشرينات القرن العشرين. وقد كانت الزراعة قد بدأت في هذه الخيران بعد وصول جماعة من الجزيرة العربية هي التي أدخلت الزراعة في أقصى الشرق.

ولا يحدد الباحث تاريخ اسم البجا متى ظهر، لكنه يقول (يطلق على سكان شرق السودان منذ قديم الزمان لفظة البجة. وقد أطلق عليهم هذا اللفظ من جميع الأمم التي عرفتهم).[2]. لكن البجا حملوا أسماء عديدة في تاريخهم حتى استقر اسم البجا فيهم. هذا وفق الدكتور أحمد الياس حسين الذي سنأتي إليه لاحقاً.

1)محمد سليمان صالح ضرار – أمير الشرق – ص 9.

2)االمرجع نفسه – ص 9.

لكن، يسبقنا الباحث محمد سليمان صالح ضرار بالقول باختلاف المؤرخين في لفظ البجا. يقول (اختلف المؤرخون في أصل البجة، فذكر بعضهم أن البجة حاميون، ولكننا نجد داود روبيني والمسعودي والدكتور جواد علي واسترابو ونعوم شقير وجرجي زيدان، أجمعوا على أن البجة من أبناء كوش بن كنعان. أي من أصل سامي). [1].

في الحديث الأخير للباحث الكريم لنا وقفة. فالبحث في (المناطق اللغوية) في السودان يعتبر شرق السودان من هذه المناطق. يقال عن شرق السودان أنه (يشمل ولايتي البحر الأحمر وكسلا حيث تسيطر اللغة البجاوية بلهجاتها الرئيسية الثلاث: الهدندوة والبشاريين والأمرأر. إلا أن اللغة العربية تسجل فيها حضوراً معتبراً نتيجة لاستيطان المجموعات العربية في هذه المنطقة للأسباب التجارية - الموانئ - هذا بالإضافة إلى لغات غرب أفريقيا وأهمها الفولانية والهوسا التي يعزى تواجدها إلى كون المنطقة معبراً إلى الأراضي المقدسة منذ مئات السنين، وكونها منطقة جذب للعمالة (الميناء ومشروعي بركة والقاش). وفي الآونة الأخيرة، شهدت هذه المنطقة هجرة عدد من اللغات الاثيوبية والارترية (التقري - التقرنجة) بسبب الحروب والجفاف). [2].

وتحت هذا إشارة في الهامش تقول (يندرج البنوعامر تحت هذه المجموعة من الناحية الثقافية فقط، أما لغتهم، فهي أقرب إلى السامية منها إلى الكوشية التي ينتمي إليها البجة). [3].

لا يذكر الكاتبان الكريمان في مقالهم الفائت المجموعات العربية التي استوطنت في أرض البجا سوى أنهم ذهبوا إلى (العمال) الذين هاجروا للعمل في الموانئ. وهم أقلية بالقياس إلى البجا الذين يشكلون الآن أكثر كيانات السودان عدداً بعد رحيل الدينكا إلى نوب السودان. [4]. والمسيطرون لغوياً في شرق السودان ليسوا العرب بأي حال من الأحوال، بل هم البجا المنتشرون في الشرق على نطاق واسع.

---

1) المرجع نفسه – ص 10.

2)الأمين ابومنقة ويوسف الخليفة أبوبكر – أوضاع اللغة في السودان – ص 21.

3) المرجع نفسه – ص 21.

4)محمد سليمان صالح ضرار – مردع سابق – ص 10.

لقد شهدنا في شرق السودان أن عناصر بشرية هاجرت إلى هناك للعمل في مشروع القاش عند إنشائه حوالي عام 1925م. شهدنا أنهم شبوا على لغة البجا وإن كان أسلافهم يتحدثون بلغات عرب غرب أفريقيا ومنها الهوسا والفولانية. فهم يتحدثون الآن لغة البجا ويعيشون على ثقافتهم في الملبس والمأكل والسلوك، ولا يختلفون عن البجا في شيء، سوى السحنة.[1].

من اشكاليات العاملين في الدراسات اللغوية في السودان اعتمادهم على إفادات المركزية الأوربية خاصة في تصنيف اللغات الأفريقية التي قام بها غرينبرج عام 1960م. ولهذا نجد اضطراباً في نسبة اللغات إلى الأسرات اللغوية التي وصفها. وما كان ما جاء به جوزيف غرينبرج سوى رؤية إلى جانب رؤى أخرى. لكن اللغويون السودانيون أخذوا بتصنيفه على علاته. وما كان ذلك يصح أبداً. وقد قسم غرينبرج لغات أفريقيا إلى أربع أسرات لغوية هي:

- فرع اللغات السامية.
- فرع اللغات الكوشية.
- فرع اللغات التشادية.

فرع اللغات البربرية ويضاف إلى هذه الأسرات فرع اللغة المصرية القديمة وهي لغة ميتة.

يقال في تصنيف اللغات السودانية (لا يمكن إجراء أي تصنيف للغات السودانية بمعزل عن تصنيف اللغات الأفريقية بصورة عامة. لقد جرت خلال الثلاثة قرون الماضية عدة محاولات لتصنيف اللغات الأفريقية كان أقدمها عبارة عن ملاحظات بعض الهواة والرحالة الأوربيين. وكانت على أسس جغرافية بحتة دون اعتبار للصلات اللغوية بين هذه اللغات. وفي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تركزت محاولات تصنيف اللغات الأفريقية على الأسس الجينية، أي على أساس أن كل مجموعة معينة من اللغات تنحدر من أصل واحد. وعمل العلماء الألمان على ذلك في القرن

1)عاش صاحب هذا الكتاب في شرق السودان بين عامي 1964 – 2004م.

التاسع عشر - استناداً على ذلك - تأسست أسرة اللغات الهندية الأوربية. وقد كان ذلك باستخدام المنهج التاريخي المقارن الذي تطور على أيدي العلماء الألمان. [1].

وفي الفترة من 1953–1963م تمكن العالم الأمريكي جوزيف غرينبرج من بلورة تصنيفه بمنهج التشابهات الذي كان أكثر قبولاً وظل سائداً على ساحة اللغات الأفريقية إلى يومنا هذا. وفي نفس الفترة قام معهد اللغات والثقافات الافريقية بوضع منهج جديد لتصنيف اللغات الافريقية وهو المنهج النوعي حيث تم تصنيف اللغات استناداً على تشابه قواعدها الصرفية والتركيبية. ومن رواد هذا المنهج العلماء وسترمان وبريان واستيفنسن وتكر. وللاخيرين باع طويل في البحث في مجال اللغات السودانية. [2].

على الرغم من تسليم المشتغلين باللغة في السودان بمنهج غرينبرج يقال (يتفق منهج غرينبرج مع منهج المدرسة الألمانية (المنهج التاريخي المقارن) في تصنيفه الجيني، إلا أن منهجه أقل صلابة من حيث الأدلة اللغوية). [3]. ومن الغريب أن يتمسك اللغويون السودانيون بمنهج غرينبرج الأقل صلابة في أدلته اللغوية تاركين غيره من أصحاب صلابة الأدلة. من الواضح هنا أنه ثم غرض ما في هذا.

في هذا الاطار، وبالمنهج الأقل صلابة في أدلته اللغوية يأتي الحديث عن لغة البني عامر أنها لغة سامية. أي من أسرة اللغات السامية إلى جانب اللغة العربية والعبرية والحبشية القديمة. بل أن اللغة البجاوية نفسها تعد في اللغات السامية. يقول الباحثان الأمين ابومنقة ويوسف الخليفة أبوبكر في نسبة اللغة البجاوية بعد إيراد أسر اللغات في السودان (أسرة اللغات الآفرو - آسيوية: وأهم اللغات الممثلة لها اللغة العربية والبجاوية). [4]. وطالما وجدت البجاوية مع العربية في أسرة لغوية واحدة، فهي لغة سامية.

1) الأمين ابومنقة ويوسف الخليفة – مصدر سابق – ص 13.

2) الأمين أبومنقة – مرجع سابق – ص 13.

3) المرجع نفسه – ص 14.

4) المرجع نفسه – ص 11.

مرة أخرى يقول الباحثان (أسرة اللغات الآفرو آسيوية هي السامية، ومنها اللغة العربية ولغة التقري (يتحدثها البنوعامر، والكوشية: البجاوية بلهجاتها المختلفة). [1]. هذا الاضطراب الذي نجده عند الباحثين، نرى أن مرده أن المنهج الذي يتبعونه منهج معوج. ولا يأتي مثل هذا إلا من تصنيف لغوي لم يكن متماسكاً. ولما كان البني عامر والحلنقة والبشاريين من البجا، ولسانهم من لسان البجا، كمجموعة لغوية بجاوية، فهم إن كانت اللغة البجاوية كوشية فلسان البشاريين والبني عامر والحلنقة كوشي.

••

كل العناصر السودانية الأفريقية القديمة، تناقصت لها الرقعة الجغرافية التي امتدت فيها عن طريق الإحلال العربي. ونضرب هنا مثالين لذلك:

- البجا.
- النوبيون.

فقد امتد البجا في الصحراء الكبرى حيث الخيران والمراعي المتاحة غرب النيل، كما امتدوا شرق النيل في صحراء العتمور لذات الغرض، كما امتدوا في أرض البطانة كحديقة خلفية لهم حتى قرية الخياري، الحد الفاصل الآن بين ولايتي القضارف والجزيرة، إلا أنه تم إجلاؤهم عن أرض البطانة عن طريق الإحلال الذي ذكرناه حيث كان تسجيل الشكرية لأرض البطانة عام 1791م. [2].

القبائل العربية البدوية تسجل انتصاراتها على الآخرين في شعرهم، وهم ينقلونها للخلف. ومن هذه الانتصارات التي ما زال الشكرية يستعيدونها شعراً إجلاؤهم البجا من نهر عطبرة. في ذلك، كان الشاعر عوض الكريم ود العجبنا (ت 1848) وهو من الشكرية العكيكاب قد مدح الفارس محمد ود البشير

1)المرجع نفسه – ص 18.

2)أحمد ابراهيم ابوسن – تاريخ الشكرية – ص

النوايمـي لمسـاهمته في الحـرب ضـد البجـا. قـال:

قام ود البشير خبط البحر هو عوم

وجمع ال رقهن بشبه لديح الدوم

البج القبيل كل يوم تطلّع قوم

خلاها البشير عابده الصلاة والصوم

فالفـارس محمـد ود البشـير قطـع نهـر أتـبرا عومـاً وهـو في زمـن فيضانـه وجمـع إليـه - في جيشـه - مـن لونهـم أحمـر كالـدوم، وكان أن هـزم البجـا الذيـن كانـوا يرسـلون إليهـم جيشـاً اربـاً كل يـوم، حتـى أن البجـا تركـوا الحـرب وأمسـكت بالصـلاة والصـوم. والبـج البجـا. [1].

هـذه الأرض المهولـة التـي انتـشر فيهـا البجـا تقلصـت بهـم عـن طريـق الإحـلال العـربي حتـى انحصر غالبهـم بـين الجبـال والبحـر الأحمـر في أقـصى شرق السـودان، وهـؤلاء العـرب الذيـن حلـوا محـل البجـا بعـد إجلائهـم هـم: الشـكرية ببطونهـم المختلفـة والكواهلـة والبطاحـين والخوالـدة والفادنيـة والقُنـن والركابيـة والشـاشـة (مـن الشـكرية) والرواشـدة والبـوادرة وبعـض جيـوب الجعليـين في مناطـق قـوز رجـب وغيرهـا.

وكان النوبيـون - مجـاورو البجـا قديـماً وحديثـاً - قـد امتـدوا مـن جنـوب أسـوان بخمـس كيلومـترات حتـى جنـوب سـوبا جنـوب الخرطـوم بقليـل الآن في ممالكهـم المسـيحية الثـلاث: نوباتيـا - المقـرة- علـوة. لكـن تغـير الحـال منـذ خـراب سـوبا وصعـود عـرب العبـدلاب وغيرهـم إلى سـدة الحكـم في بدايـات القـرن السـادس عـشر الميـلادي.

في الفـترة مـا بعـد معـادة البقـط عـام 652م، تدفـق العـرب إلى السـودان الحـالي، وتكاثـروا في هـذه الممالـك، وتغلبـوا عـلى النوبـة بكثرتهـم وسـعيهم إلى التملـك، فـكان لهـم مـا أرادوا حيـث أنشـأوا دولـة الفونـج، السـلطنة الزرقـاء، في بدايـات القـرن السـادس عـشر الميـلادي.

1)ميرغني ديشاب – البجا – التاريخ واللغة – مخطوط.

في هذه الأرض التي امتدت من صعيد مصر حتى جنوب الخرطوم، والتي كانت ملكاً للنوبيين، كان الاحلال العربي حيث صارت العناصر العربية صاحبة الأرض عن طريق المدافعة، فصارت فيها عناصر المجموعة الجعلية، وهي مجموعة تتكون من عناصر بشرية عديدة منها البطاحين والرباطاب والمناصير وغيرهم، وقد انتشروا في الصحراء الكبرى غرب دنقلا الكبابيش وشرقها عرب القراريش إضافة إلى الشايقية الذين كانت حربهم مع أهل دنقلا حتى القرن الثامن عشر الميلادي، وكذلك البديرية والركابية.

يعني ذلك أن العرب امتدوا في الأرض من شندي حتى جنوب الدبة لينحصر النوبيون ما بين الدبة جنوب دنقلا ووادي حلفا في السودان، وفي مصر من أدندان حتى نهاية أرض الكنوز شمالاً حيث فرق التهجير النوبي بين النوبيين تماماً كما فرق كيان البجا في شرق السودان. ولعلنا شير بهذا إلى أن ما نسميه (الإحلال العربي) ينبغي أن يدرس. [1].

إن مصاهرة العرب المهاجرين إلى السودان الحالي مع الوطنيين، خاصة البجا والنوبيين الذين يركز تاريخ شعوب السودان عليهما دائماً، ينبغي أن نتدارسها بغية اكتشاف ما بان منها وما خفي. ذلك أن هذه المصاهرة التي قصدت إلى زواج الأميرات من النوبة والبجا كانت قد أتاحت التملك على البلاد والناس بالنسبة للعرب، وبهذا، نجاوب على السؤال: كيف تملك العرب في السودان؟.

لا نجد في تاريخ كياني البجا والنوبيين، فيما يختص بالعرب الذين كانت بلادهما قد وطنتهم، لا نجد أية إشارة إلى أن هؤلاء العرب قد هاجروا إلى هذه البلاد بزوجاتهم وأبنائهم، بل هاجروا - في الغالب -كجماعات أو أفراد - في جيوش محاربة لا سبيل فيها إلى اصطحاب نساء أو أولاد. لا نجد ذلك سوى عند الرشايدة الذين هاجروا إلى السودان بزوجاتهم وبهائمهم وأولادهم. وسنأتي إلى قراءة تاريخهم وتأثيرهم في ساحل البحر الأحمر لاحقاً.

عند د. مصطفى محمد مسعد أنه (يرى بلوس أنه بعد الفتح العربي لمصر، هاجرت جماعة عربية على طول الساحل الأفريقي للبحر الأحمر واستقرت في أرض البجة واختلطت بهم وتزوجت من بناتهم. ومما لا شك فيه أن هذه الجماعات الاسلامية

1)من معلومات الباحث الخاصة.

تركت لوناً من التأثير فيمن اختلطت بهم من البجة، بل إن بعضهم تخلف في بلاد البجة وتعلم اللغة البجاوية ليسهل عليهم التعامل مع البجاويين والتأثير فيهم. وفي الدليل على ذلك أن زكريا بن صالح المخزومي من سكان جدة وعبدالله بن اسماعيل القرشي قاما بترجمة عقد ابن الجهم إلى اللغة البجاوية). [1].

نجد هنا أن العرب تزوجوا بنات البجا، والتزوج ببنات البجا لا يعني أبداً تمكناً بلغة من الممكن التأثير بها وإن كان يعني اختلاط الأرحام والتقارب. ونجد عبارة أن الجماعات الاسلامية تركت تأثيراً في البجا في إشارة إلى نشرهم الاسلام. وتعلم البعض اللغة البجاوية في هذا التأثير أسفر عن تعلمها عند اثنين من العرب لا قبل لهما بالتأثير في أمة هي أمة البجا. فهؤلاء العرب - إذا فحصنا أهدافهم التي هاجروا لتحقيقها في السودان - نجد أنها تلخصت في البحث عن الذهب، وإن كانا قد تزوجوا من بنات البجا، فإن الأمر ينحصر في الأخبار العابرة وليس أمراً يؤرخ له.

عند النوبيين يختلف الأمر، فلم يرد عنهم أن العرب تزوجوا بناتهم، بل تزوجوا بالنوبيات سعياً وراء التملك، فكان لهم ذلك. يقول ابن خلدون إن النوبيين (انقطعت عنهم الجزية باسلامهم، ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة في بلادهم، واستوطنوها وملكوها، وملأوها عبثاً وفساداً، فعجز النوبيون عن مدافعتهم بالمصاهرة، وصار لبعض أبناء جهية من أمهاتهم على عادة الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم). [2].

هنا نجد صعود أبناء جهينة إلى السلطة من أمهاتهم. بمعنى أن أمهاتهم من نسل ملوك النوبة الذين كانوا يملكون الأخت - الكنداكات - وابن الأخت. لكن السؤال الطبيعي هنا: من من العرب تزوج من الأميرات النوبيات وأنجب من؟. هذا السؤال تأتي أهميته من أنه لم يُشر إليه في التاريخ في أي من مصادره، فهذا التصاهر دائماً ما يأتي في التاريخ كخبر مبتور لابد من تفكيكه.

1)د. مصطفى محمد مسعد – مصدر سابق – ص 118–119.

2)ابن خلدون – العبر – جـ 5 – ص 429– في مصطفى مسعد – مصدر سابق – ص 175.

الدكتور عبدالعظيم ميرغني ابراهيم، صاحب كتاب الكنوز الذي ذكرناه سابقاً، تجنب هذا السؤال الذي طرحناه، وقام بأمرين: الأول أنه ذهب إلى أن بني كنز الذين كانوا بحاثة ذهب ومعادن في وادي العلاقي من ديار الكنوز، تعلموا النوبية كي يستطيعوا نشر الاسلام واللغة بين الكنوز (المتكية). هكذا، أن قبيلة ربيعة كلها تعلمت النوبية، والأمر الثاني أنه نشر في كتابه وثيقة زواج واحدة لواحد من قبيلة ربيعة تزوج امرأة في دنقلا. [1].

••

على الرغم من الاضطراب الذي وجدناه في نسبة البجا لغوياً بين السامية والآفرو آسيوية وغيرها استناداً على تصنيف اللغوي الأمريكي جوزيف غرينبرج للغات الأفريقية، نجد اشتغالاً على العناصر العربية التي هاجرت إلى ديار البجا عند الباحث محمد سليمان صالح ضرار مما يشي بأن العنصر البشري الغالب في ديار البجا هم العرب. وقد كان واضحاً أهداف هجرة قبيلتي ربيعة وجهينة لديار البجا، لكن الباحث الكريم يذكر وجوداً عربياً ساحقاً في أوساط البجا دون إشارة إلى أسباب هجرتهم لهذه الديار.

لا نجد في كتاب الباحث سليمان محمد صالح ضرار تاريخاً لكتابته أو صدوره على أهميته. والراجح أنه كتب في الخمسينات من القرن الماضي، الزمان الذي نشط فيه (آل ضرار) من البني عامر فرع العجيلاب لكتابة التاريخ عموماً ابتداء من الراحل محمد صالح ضرار الذي له حضوره اللافت في كتابة تاريخ السودان، كواحد من أهم المؤرخين السودانيين.

يقول الباحث محمد سليمان صالح ضرار (شهد شرق السودان - قبل الاسلام - عدة موجات سامية نزحت إليه من جزيرة العرب، وأشهر تلك الموجات هي هجرة قبيلة (بلى) هم أول من نقل اللغة العربية إلى أفريقيا، وجاوروا قبائل البجا دون الاختلاط بهم، فأطلقت البجة كلمة (بلويت) على اللسان الذي تتكلمه (بلى) أي اللغة العربية، وهي ما لم تكن مفهومة لديهم، ولذلك نسبوها لأول من تكلمها في ديارهم. ولما كان

---

1)عبدالعظيم ميرغني ابراهيم – مصدر سابق – ص 194.

البلو عنصراً سامياً، فإنهم أصبحوا سادة البجا. وأطلق البجة لفظ (بلى) على كل رئيس أو سيد، وكانت كلمة (بجة) تعني العكس. وترفع البلو عن مصاهرة البجا). [1].

نقف هنا في نقاط:

أن البلو من قضاعة بن حمير، وأنهم أول من نقلوا اللغة العربية إلى أفريقيا، وأنهم جاؤوا قبل الاسلام.

أن البلو ساميون ولذلك سادوا على البجا.

أن لغة البلو العربية لم تكن مفهومة لدى البجا.

ترفع البلو عن مصاهرة البجا.

استخدمنا لفظ (البلو) بدلاً عن (بلى) لأن الأول هو الأشهر في المصادر التي تحدثت عن البجا.

في النقطة الأولى أن البلو من قضاعة بن حمير وهم أول من نقلوا اللغة العربية إلى أفريقيا، نقول: إن كون البلو من قضاعة بن حمير، يعني - مباشرة - أنهم من العرب القحطانيين من جنوب الجزيرة العربية. ودائماً ما يسمونهم (عرب الجنوب) تفريقاً لهم عن (عرب الشمال) الذين هم العدنانيون أهل النبي صلى الله عليه وسلم. وفي تاريخ الأدب العربي أنه لم تكن لعرب الجنوب لغة عربية أبداً. فهم كانت لهم لغاتهم: الحميرية والحضرمية والنبطية. وهي لغات اندثرت في السودان كما في مواطنها في جنوب الجزيرة العربية، اليمن. ولم يعد لها وجود. ويقول الدكتور شوقي ضيف أن عرب الشمال في الجزيرة العربية قد أثر عنهم قولهم (إن لغة عرب الجنوب ليست لغتنا، ولا عربيتهم بعربيتنا). [2].

وفي كلمة الباحث محمد سليمان صالح ضرار الفائتة أن البلو الذين جاؤوا باللغة العربية لأفريقيا، كان مجيئهم قبل الاسلام. وهذا يعني أنهم جاؤوا في جاهليتهم، إن كانوا قد جاؤوا بجاهليتهم، وجب علينا - نحن الباحثين - أن نبحث في (مظاهر الجاهلية)

1) محمد سليمان صالح ضرار – مصدر سابق – ص 11–12.

2) د. شوقي ضيف – تاريخ الأدب العربي – ص 167.

التي مارسها هؤلاء العرب في السودان. وهي لم تكن بعيدة عن التناول، فقد درسناها، وحصرناها في أمرين: [1].

ظاهرة الهمبتة، وهي استعادة لظاهرة الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. وهي ظاهرة كان بروزها في القرن السادس عشر، وقد حملوا اسمين (القيمان) و (العكاليت). وهي مستمرة في هذه البلاد حتى الآن. [2].

حروب القبائل. فما من قبيلة عربية في السودان إلا وحاربت أختها لفرض الغنائم والصِيت تخيف به القبائل الأخرى. وظاهرة حروب القبائل انتقلت من العرب لبعض الكيانات الافريقية، فالبجا أنفسهم حاربوا الشكرية حروباً عديدة إبان إجلائهم عن أرض البطانة كما تحالفوا مع الكواهلة في بعض حروبهم ضد البطاحين، وما زالت لهم حروب ضد النوبة والبني عامر في شرق السودان. وسنعود لهذا لاحقاً.

حروب القبائل حواها كتاب (أيام العرب في الجاهلية). من تأليف ثلاثة باحثين هم: محمد أحمد جاد المولى بك، وعلى محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم. وكان نشره في المكتبة العصرية ببيروت عام 1942م. وفيه حروب (بني عامر) الذي يرى ماكمايكل أن البني عامر في شرق السودان يعودون بنسبهم إليهم، وحروب قبيلة هوزان التي ينتمي إليها الحلنقة، وسنأتي لهذا لاحقاً.

الأمر الثاني أن البلو ساميون، ولذلك سادوا على البجا. والشق الأول (أن البلو ساميون) قول لا يستقيم. فمن هم ساميون من العرب هم - فقط - من ينتهي نسبهم عند جد العرب عدنان. ولهذا يسمون باسم العدنانيين. وفي نسب الجعليين - مثلاً - يتسلسل النسب هكذا (... بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

1)ميرغني ديشاب – السودان والعرب – مخطوط.

2)المصدر نفسه.

كان نسب الجعليين - وما زال - يبدأ من ابراهيم جعل الذي يرونه جدهم، وينتهي عند عدنان كما أوردنا هنا. ويقول ناسبهم بعد عدنان (ولا نذهب بعد ذلك لنهيه ﷺ عن هذا). [1]. أي لا يذهب بالنسب بعد عدنان لقول الرسول ﷺ (لا تذهبوا بأنسابكم إلى ما بعد عدنان. فالعرب ما بعد عدنان كان منهم المسلمون، أما العرب ما بعده فقد كانوا - في الغالب - حاميين، وهم منبوذون في القرآن الكريم. [2].

إذن فإن القول بأن البلو الذين يقال إنهم عرب ساميون قول لا سند تاريخي له. وكونهم أدخلوا اللغة العربية في أفريقيا لا سند له أيضاً، فهم - طالما جاؤوا لأفريقيا قبل جد العرب عدنان، أما سيادة هؤلاء البلو على البجا، فأمر محير. لكن يمكن القول إنهم البلويون المشهورن في تاريخ وادي النيل وتاريخ البجا أنفسهم، وفي رواية أخرى (البليون).

نقلاً عن أندرو بول [3] يقول د. مصطفى محمد مسعد (الحدارية في رأي بول هم الحضارمة من حضرموت، جاؤوا من بلاد العرب في القرن السادس الميلادي، وكانوا وثنيين ثم اعتنقوا المسيحية تشبهاً ببعض البجة، وهاهم يعتنقون الاسلام في القرن العاشر الميلادي، ويرى بول أن الحدارية هم البليون، ومعناها في لغة البجا العربي. وثم قول إن البليين [4] جاؤوا أصلاً من الحجاز.

ويرى كرادفورد أن البليين ربما يرجعون إلى قبيلة بلي التي هاجرت إلى إقليم البجة قبل الاسلام). [5]. وما قيل هنا يصحح ما قيل من قبل.

أما أن لغة العرب لم تكن مفهومة لدى البجا، فهو عين ما قلناه سابقاً أنه كان هناك حاجز اللغة بين العرب وأهل السودان وقول بعض الباحثين إن العرب تعلموا لغات البجا والنوبيين لينشروا الاسلام واللغة العربية، ولهذا تأخر نشرهما. والنقطة

1) هـ. ماكمايكل – تاريخ العرب في السودان – ص 39.

2) منهم عاد وثمود وغيرهم.

3) هو صاحب كتاب (تاريخ قبائل شرق السودان).

4) نسبة إلى قبيلة (بلي) العربية في الحجاز.

5) د. مصطفى محمد مسعد – مصدر سابق – ص 128

الأخيرة وهي ترفع العرب عن مصاهرة البجا. فهو ناتج عن أن المجتمع العربي في جاهليته كان ذا ثلاثة طبقات: العرب صحيحو العروبة وأدنى منهم الموالي وأدنى منهم الرقيق في أسفل الطبقات. وكانوا يرون أن أياً من السودان (جمع أسود) وهم أهل أفريقيا وسطاً وشرقاً وغرباً وجنوباً من طبقة الرقيق. ولا شك في أن البلو قد رأوا في البجا أنهم من الطبقة السفلى، وعاملوهم على هذا الأساس، وهي معاملة طبيعية كما يرون، وليس لأحد أن يحتج فطبقته مسلم بها، وليس من سبيل لمراجعة. [1].

ويبدوا أن البحا أخذوا - كغيرهم - بالأنساب العربية الموضوعة في بدايات القرن السادس عشر الميلادي عندما أرسل السلطان سليم الأول إلى عمارة دنقس بأنه أقام مملكة في أملاكه، حيث كانت تركيا تتمتع بسلطة الخلافة الاسلامية، وكان السودان تحت مظلتها.

كان السلطان سليم الأول في قصره في سواكن حين أرسل رسالته لعمارة دنقس، وكانت سواكن تابعة له. قال السلطان في رسالته أنه يضع عمارة دنقس أمام أمرين: الجزية أو الحرب. وكان أن جمع عمارة دنقس النسابة السودانيين، وأمر عليهم السمرقندي النسابة الذي اشتهر بكتابة الأنساب وعلى يديهم تم تبويب أنساب السودانيين. وقد أُرجعت أنساب السودانيين جميعاً إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين. [2].

وكان عمارة دنقس قد تسلم هذه الأنساب مبوبة، وأرفق معها أشجار أنساب السودان مع رسالة فحواحها أن أهل مملكته عرب مسلمون وفقراء. وفرح بذلك السلطان سليم - فيما قال - وأمسك عن التفكير في غزو سنار وطلب الحرب أو الجزية.

نقول: ربما أخذ البجا بتلك الأنساب ورأوا التماشي معها. يقول هارولد ماكمايكل في هذه الأنساب (لم يرد في أي من المخطوطات (أشجار النسب) عن هجرة العرب السابقة للاسلام، ويتمثل السبب - بداهة - في الشعور بعدم الرغبة في التحدث عن أي

1)من معلومات صاحب البحث الخاصة.

2)هـ. ماكمايكل – مصدر سابق – ص 10–11.

جد ترك الجزيرة العربية أيام الجاهلية لأن رغبة الكل تميل إلى إظهار أسلافه كإحدى دعامات الايمان الجديد). [1]. وهذا صحيح.

لقد أقر الباحث محمد سليمان صالح ضرار بهجرة البليين إلى ديار البجا قبل الاسلام. وقد ذكرنا ذلك من قبل. وقد كان أميناً في هذا حيث صار البلو فرعاً بجاوياً مهماً فيما بعد، وصار اسمهم (الحدارب) في لفظ البجا، و (الحضارمة) كمهاجرين إلى ديار البجا من حضرموت.

وفي أنساب البجا العربية يقول (من أهم الأصول العربية التي هاجرت لبلاد البجة:

أبناء أبي بكر الصديق.

أبناء الزبير بن العوام من بني مصعب بن الزبير، واستوطنوا الوجه القبلي.

بنو العباس. وهم من أكثر القبائل التي هاجرت إلى السودان. وبمرور الأيام، استطاع العنصر العربي أن يحل محل كل ممالك البجا الخمسة الموجودة:

قبائل البشاريين. ويسكنون مملكة ناقص.

قبائل الأمرأر، وهم يعيشون في منطقة مملكة بقلين.

قبائل الهدندوة وينتشرون في بقاع مملكة بازين.

قبائل بني عامر وموطنهم على السواحل الجنوبية.

قبائل الحلنقة ويقطنون في كسلا وما حولها.

وأكبر قبائل شرق السودان هي قبيلة الهدندوة. وقد هاجر جدهم المدعو محمد المبارك من الحجاز إلى شرق السودان عن طريق عيذاب حوالى القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) باحثاً عن ابن عم له ...إلخ. [2].

---

1) المصدر نفسه – ص 12.

2) محمد سليمان صالح ضرار – مصدر سابق – ص 12-13.

هذه الممالك التي ذكرها الباحث الكريم، ذكرها غير واحد ممن كتبوا وأرخوا للبجا. لكن، لم نكن على علم بأن كل هؤلاء الصحابة من القرشيين هاجروا إلى ديار البجا. وإن كان الأمر كما قال الباحث محمد سليمان صالح ضرار، فإن أرض البجا أرض صلاح وبركة إن شاء الله تعالى.

الرشايدة
والتحول الاقتصادي في شرق السودان
(1)

كان المؤرخ الانجليزي أندرو بول قد رأى الرشايدة الذين هاجروا إلى البر الغربي للبحر الأحمر أول عهدهم بالسودان، جنساً من الغجر اعتماداص على ما قال الرحالة الانجليزي دورتي الذي ساح في الجزيرة العربية وكتب عن قبائلها حوالي العام 1846م. [1]. وأندرو بول هو صاحب كتاب (تاريخ قبائل شرق السودان) الذي كتبه عام 1954م عندما كان مأموراً في شرق السودان في ذلك التاريخ. وقد شاع ما قال أندرو بول عند مؤرخي السودان حتى لقد أخذ به - مسلّمين به - آخرون.

من هؤلاء الآخرين الذين أخذوا عن أندرو بول د. يوسف فضل حسن. فقد ذهب في كتابه (دراسات في تاريخ السودان) إلى أن الرشايدة يسمون في الحجاز في المملكة العربية السعودية باسم (الهتيم) وهم فرع من الغجر. [2]. ومن الواضح أن الدكتور يوسف فضل حسن قد بحث فيما وراء ما قال المؤرخ أندرو بول أخذاً عن الرحالة دورتي. وقد زاد ما قال من وتيرة انتشار الاسم (الغجر عموماً) بين السودانيين خاصة وأنه صادر عن مؤرخ في قامة د. يوسف فضل في صيته الراكز الآن.

وكان د. عون الشريف قاسم قد أورد في كتابه الموسوعي (موسوعة القبائل والأنساب في السودان) خبر الرشايدة، فقال: (رشايدة قبيلة عربية بشرق السودان ويعرفون أيضاً بالزبيدية. وينسبون إلى رشيد الزول. بدأت هجرتهم إلى السودان من منتصف القرن التاسع عشر الميلادي بين عام 1846-1910م. ويقولون بنسبهم إلى هارون الرشيد.). [3].

1) أندرو بول – تاريخ قبائل شرق السودان – ص 10.

2) د. يوسف فضل حسن – دراسات في تاريخ السودان – ص 185.

3) د. عون الشريف قاسم – موسوعة القبائل والأنساب – جـ2– ص 791.

ويقول الباحث محمد سليمان صالح ضرار (الرشايدة هم آخر القبائل العربية التي هاجرت للسودان من الجزيرة العربية حوالي سنة 1856م، نزل بعضهم بميناء محمد قول، والبعض الآخر بميناء أم بارك واجتمع شملهم في قرورة، وأقاموا زمناً بأراضي الحباب حتى انتقلوا إلى أماكنهم الحالية. ومنهم قبائل البرسا والبراطيخ والزنيمات). [1].

من الواضح أن هناك اختلافاً في تاريخ هجرة الرشايدة وقد كان اعتماد كل من أندرو بول ود. يوسف فضل حسن على الرحالة دورتي في نسبة الرشايدة إلى الغجر من الأخطاء التاريخية التي شاعت كما قلنا من قبل. والدكتور عون الشريف يرى أنهم جاؤوا إلى السودان في دفعات. فالفارق الزمني بين عام 1846-1910م أربعة وستون عاماً. أما الباحث محمد سليمان صالح ضرار، فظاهر أنه يرى هجرتهم دفعة واحدة.

ولعل د. عون الشريف قاسم قد نظر في بعض شعر شعراء الرشايدة ليقول أنهم ينتسبون لهارون الرشيد. فبعض الرشايدة يقولون ذلك لشهرة الخليفة هارون الرشيد. وقد قال الشاعر الرشيدي نفاع بن بركات: [2].

أنا نفاع بن بركات بيّن

وموصول بهارون الرشيد

أنا في موطن السودان قاطن

وأصلي نجد والشروق سعيد

وعنواني معلّق في خطابي

وسوقي سوق كسلا والصعيد

وهكذا شعر الرشايدة، شعراً مباشراً يقولونه بعفوية واضحة. وهو شعر ناشز يرجع لرؤية صاحبه ولا يعبر عن التاريخ المعتمد للرشايدة عند مؤرخي الجزيرة العربية ولا كل من منهم في السودان أو غيره من البلدان التي انتشروا فيها.

1) محمد سليمان صالح ضرار - مصدر سابق - ص 15.

2) أحمد حسن حامد الحياني - الرشايدة في السودان - ص 14-15.

هـارود ماكمايـكل كلمتـه فيـما يختـص بالرشـايدة. قـال (الرشـايدة مـن مهاجـري الجزيـرة العربيـة الحديثـين والذيـن عـبرت أعـداد منهـم البحـر الأحمـر في عـام 1846م، واتخـذوا مواطنهـم بـين طوكـر والحـدود الإرترية. ثـم شـق بعضهـم طريقـه غربـاً. يرعـى الرشـايدة إبلهـم في عطـبرة وبربـر. وحتـى ثـورة الدراويـش [1] كانـوا مـن أثريـاء النـاس، بيـد أنهـم نهبـوا إبـان تلـك الجائحـة وفـر الباقـون والتجـأوا لمصـوع. وبعـد إعـادة احتـلال السـودان عـادوا لعطـبرة والقـاش. ومنـذ ذلـك الوقـت انضمـت لهـم مجموعـات معتـبرة مـن بنـي جلدتهـم الذيـن وفـدوا مـن الحجـاز وإرتريـا. والرشـايدة بـدو مـن رعـاة الإبـل، ويبلـغ في البحـر الأحمـر وبربـر حتـى وقتنـا الحـاضر مـا بـين الألـف والألفـين مـن الرجـال. أمـا الزبيديـة بـشرق السـودان، فيعتـبرون أحـدث مهادجـري الجزيـرة العربيـة وموطنهـم الرئيـس حـول مينـاء رابـق [2] فيـما بـين ينبـع وجـدة وتجاوؤرهـم مـن الشـمال قبيلـة جهينـة). [3].

هنـا سـؤال: لمـاذا يـرى د. عـون الشريـف قاسـم الرشـايدة كزبيديـة؟. وعـلى الرغـم مـن أن هـ. ماكمايـكل يجيـب عـلى السـؤال، إلا أن الأمـر في حاجـة إلى إبانـة، خاصـة وأن الرشـايدة زبيديـة، يشـيع عنـد العامـة مـن النـاس. فقـد كانـت قبيلـة زبيـد اليمنيـة تتاجـر بـن اليمـن وسـاحل البحـر الأحمـر الغـربي. ولأن أفـراد قبيلـة زبيـد قـد سـبقت الرشـايدة في هـذه التجـارة بزمـن طويـل، ظـن أهـل سـاحل البحـر الأحمـر الغـربي أن الرشـايدة - الذيـن هاجـروا إلى هنـاك - زبيـدة أيضـاً للسـحنة المشـتركة بينهـما وهـي البيـاض عنـد كليهـما.

مـن ذلـك سـمى العامـة الرشـايدة زبيديـة. والأمـر الثـاني مـا وجدنـاه مـن بعـض الرشـايدة أنفسـهم بأنهـم ينتمـون للخليفـة هـارون الرشـيد. وقـد ربطـوا بـين الرشـايدة والرشـيد. وظـن بعضهـم أن الرشـايدة ينتمـون فعـلاً لهـذا الخليفـة، بـل وذهبـوا إلى أنهـم مـن زوجتـه المشـهورة زبيـدة، ولهـذا سـموهم بالزبيديـة. وقبيلـة زبيـد اليمنيـة قبيلـة قحطانيـة والرشـايدة عدنانيـون مـن شـمال الجزيـرة العربيـة. [4].

---

1) يعنى بهم أنصار المهدي.

2) المقصود ميناء رابغ في السعودية.

3) هـ. ماكمايكل – مصدر سابق – جـ1 – ص 421.

4) ميرغني ديشاب – الرشايدة سلالة عبس في السودان – ص 13–14.

كانت قبيلة عبس العدنانية قد صارت جمرة من جمرات العرب. وقد أطلق العرب - في الجاهلية مسمى (جمرة) عليها في معنى أنها صارت عبئاً ثقيلاً على العرب تغزوهم ولا تنهزم بل تعود بغنائم من القبيلة التي انتصرت عليها. لهذا اجتمعت قبائل الجزيرة العربية لمحاربتها، وحاربتها، فتشتت شملها في البلدان في كل من قارتي آسيا وأفريقيا، وبقي بعضها في الجزيرة العربية كما كانت منذ القدم. وقد انتشر بنو رشيد [1] منذ الزمن الجاهلي في دول الخليج كلها. وهم الآن يوجدون في البحرين ودولة الامارات العربية المتحدة وقطر وفلسطين والعراق وعمان. ومركز ثقلهم في المملكة العربية السعودية حيث مركز القبيلة. ولهم الآن حق الدخول والخروج في كل دول الخليج العربي ويعاملون معاملة أهل البلاد، حيث لهم نشاط واسع في خدمة مصالحهم.

في أفريقيا ينتشر الرشايدة في مصر والسودان والصومال وإرتريا وليبيا حتى أن زوجة الزعيم القذافي الأولى (عائشة) من الرشايدة فرع البراعصة. وفي السودان يتركزون في ساحل البحر الأحمر في بورتسودان وسواكن وقرورة وحلايب. وتركزهم في كسلا أكبر حيث تمركزوا في جنوبها وفي المساحة بين كسلا ونهر عطبرة، ولهم فيها قرى مشهورة منها مستورة ومنصورة. وبعد أن كانوا بدواً تحولوا الآن إلى سكان منازلة حديثة موغلة في حداثتها، كما ينتشرون في ولاية نهر النيل في الدامر. وعلى الرغم من أن الرشايدة ينقسمون إلى بطون عديدة في السودان، إلا أنهم ينقسمون - كذلك - إلى قبائل رئيسة هي:

البراعصة: وقد ذكرهم الباحث محمد سليمان صالح ضرار باسم البارسا، وهذا غير صحيح. ويتركزون في كسلا ومنهم ناظر الرشايدة أحمد حميد بركي. وهم في ولاية كسلا.

البراطيخ: ويتركزون في ولاية البحر الأحمر.

الزنيمات: وتركزهم في ولاية نهر النيل في الدامر ولهم وجود معتبر في ارتريا على ساحل البحر الأحمر في الشمال وفي تسني في الجنوب، وهم كيان معترف به كمكون من مكونات دولة إرتريا. [2].

1)بنو رشيد اسمهم في دول الخليج العربي وتاريخها، وفي السودان الرشايدة.

2)ميرغني ديشاب – الرشايدة – مصدر سابق – ص 71 وما بعدها.

في مقال له في مجلة العرب في الرياض من المملكة العربية السعودية، كان مؤرخ الجزيرة العربية المشهور الشيخ حمد الجاسر الذي له (المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية) قد كتب قائلاً (قبيلة بني رشيد تعود إلى قبيلة عبس الغطفانية العدنانية، ذلك أن بعض أفراد هذه القبيلة ما زالت تقيم في نفس المناطق التي كانت تقطنها قبيلة عبس في الأزمنة الغابرة. وتقع معظم هجر [1] بني رشيد وقراهم على الطرق المؤدية من حائل إلى المدينة المنورة). [2].

أما لماذا لم تهاجر بقايا قبيلة عبس هناك بعد تحالف العرب في الجاهلية من بني رشيد، فذلك يعود إلى قوة بني رشيد التي خاضت اثنتى عشر حرباً بعد هجرة الآخرين كما حاربت الأشراف (حكام الاقاليم) قبل توحيد المملكة العربية السعودية وانتصرت على الجميع. وذلك واضح حتى الآن إذ يتحاشى جميع أهل شرق السودان ملاقاة الفرد من الرشايدة في نزال حتى إن كانوا عشرة مقابل واحد منهم لبراعتهم في استخدام السيف رجالاً ونساء. [3].

أول حرب خاضها الرشايدة كانت في أول مجيئهم إلى السودان. وهم قد (عبروا البحر الأحمر من جدة ونزلوا في أرض الحباب وكانوا نحو ألف رجل، ومعهم نساؤهم وأسلحتهم وإبلهم وأبناؤهم، فاعترضهم الحباب، وجرت بين الفريقين وقائع أدت إلى سفك الدماء. وهم حتى سنة 1903م فريقان: أحدهم تابع لحكومة السودان والآخر للحكومة الإرترية). [4]هكذا جاؤوا بلا إنذار.

مما لا شك فيه هنا أن الرشايدة ضمنوا البقاء في السودان قبل هجرتهم إليه. ولما كانوا أهل تجارة مع أهل البر الغربي للبحر الأحمر، البجا، فقد جاؤوا بنسائهم وأولادهم وأولادهم وإبلهم. ويبدو أنهم كانوا يعلمون تمام العلم أنهم سيتعرضون لحرب مع الكيانات التي تسكن في ساحل البحر الأحمر، وهم لم يحملوا معهم أسلحتهم استعداداً

1)هجر تعني (فريق) كما في عامية أرض البطانة في الشرق.

2)حمد الجاسر – مجلة العرب – الرياض – مارس ، أبريل 1989م.

3)ميرغني ديشاب – الرشايدة – ص 22–25.

4)نعوم شقير – تاريخ السودان – تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم – ص 60.

لحرب قادمة، ولكن السلاح من بنادق وسيوف وسكاكين من لوازم الرشيدي أصلاً. لكن الرشايدة كانوا على يقين بأن القبائل والكيانات التي تسكن في ساحل البحر الأحمر - وقد خبروها في دوران تجارتهم معهم - لن تصمد أمامهم لو حاربوهم.

••

في أول عهد الرشايدة بالأرض في ساحل البحر الأحمر سكنوا في بعض مناطقه ومنها سواكن. ومسكن الرشايدة بسيط، فهو (شملة) تطرش بأوتاد تغطي ما هو أعلى وتبقى العائلة الظل أسفلها. نقول إنهم في أول عهدهم (كتب محافظ سواكن للسلطات في الخرطوم، أي سلطات الحكم التركي المصري، قائلاً: (وصل إلى بر عجم [1] من بر عرب قوام ألف فارس، ونزلوا في الساحل، ويحملون السلاح الناري، ومعهم عوائلهم وأطفالهم. هل يرجعون أم يتركون؟). [2].

ويصل الرد من الخرطوم أن يتركهم يعيشوا في السودان لمدة ستة شهور، ويكتب عنهم بعد ذلك لكي يتضح سبب خروجهم من بر عرب، ويكونوا تحت المراقبة. [3] . لكن محافظ سواكن لم يلتفت إلى سبب خروجهم من بر عرب لكنه أحكم مراقبتهم عن كثب، فقد بهروه بما قاموا به. فقد قاموا بما لم يقم به أهل الأرض طوال حياتهم.

بعد مضي الشهور الستة، أي بعد مراقبة الرشايدة جيداً، كتب محافظ سواكن للسلطات يقول (لقد فلحوا الأرض في وادي اشت isht[4]وزرعوا الذرة والدخن والخضار، ولاحظنا أن السكان الأصليين - وهم البجا - يسكنون أعالي الجبال، ولا ينزلون إلى السواحل، ولا يعملون بالزراعة). [5]. ويجيء الرد من الخرطوم أن القادمين من بر عرب - طالما فعلوا ذلك، جديرون بالبقاء في السودان.

1)بر عجم ديار البجا، وتطلق كلمة عجم لمن هم ليسوا من العرب.

2)محفوظات دارة الملك عبدالعزيز – الرياض – رقم 36701–295 ب.

3)نعوم شقير – مصدر سابق – ص 60.

4)إشت وادٍ مشهور شرق بورتسودان.

5)نعوم شقير – مصدر سابق – ص 60.

لم تكن هناك زراعة في ساحل البحر الأحمر، حيث الأرض هناك مالحة، ولا قدرة لأهل البلاد من جلب الماء إن زرعوا. لكن الرشايدة، قد خبروا الأرض إذ ترددوا عليها، ووقع نظرهم على ثلاثة أمور كي يزرعوا زراعة ناجحة. وهي:

الأودية التي يسيل ماؤها في أعالي جبال البحر الأحمر، والأرض المهدرة في أسافل الجبال والمساحات الطينية في أعاليها.

الاستفادة من سيلان الماء في نهر القاش خور بركة وانحساره حيث تنفتح الأرض للزراعة.

هطول المطر صيفاً وشتاء في أقصى شرق السودان.

هكذا أدخل الرشايدة الزراعة في ديار البجا فكان الانتباه إلى أنه من الممكن ممارسة الزراعة باستغلال مصادر المياه التي كانت ماثلة أمام البجا بكياناتهم المختلفة. وكان هذا الاكتشاف سبباً رئيساً في السماح لهم بالبقاء في السودان. وقد ظهر أن الرشايدة تخيروا مواضع الزراعة ما بين حائل والمدينة المنورة المعروفة بعمار الزراعة منذ القدم.

إضافة إلى الزراعة والكسب منها، عمل الرشايدة في تجارة البحر الأحمر المؤدي إلى موانئ جدة وينبع ورابغ ومصوعز وكانت تجارتهم هذه بالسنابيك (مفردها سنبوك) وهي مراكب شراعية كبيرة جداً كان الرشايدة بارعين في تجارة البحر بها قبل هجرتهم إلى السودان. وفي شاطئ البحر الأحمر، صاروا قرب البحر فمضوا في التجارة البحرية.

فيما فات، وجدنا أن الرشايدة جاؤوا إلى السودان بإبلهم وقد استغلوا حاجة مصر إلى الجمال فعملوا بالتجارة بها. فهم قد كانوا من أوائل القبائل التي مارست تجارة الجمال مع مصر. [1]. وكان بعض البجا قد أخذوا عنخم هذه التجارة وعملوا بها على استحياء، تماماً كما قاموا بالزراعة بعد قيام مشروع القاش الزراعي الذي قام عام 1924م وزرعوا فيه القطن وفق القرار الحكومي في ذلك الوقت.

يقول مبروك مبارك سليم الرشيدي في تجارة الجمال عند أهله الرشايدة (كان السودان يرتبط بمصر في الناحية المالية حتى ابريل عام 1957م. وكان النظام النقدي

1) مبروك مبارك سليم الرشيدي – الرشايدة طنايا عبس في السودان – ص 72.

بين مصر والسودان واحداً عبر البنك الأهلي المصري، ولم تكن هناك صعوبة في التبادل التجاري بين البلدين ولم تكن هناك جمارك أو تدخل حكومي. وكان شيوخ القبائل من يصدرون تصاريخ الصادر من الجمال. ولهذا كثر عدد الجمال المصدرة على النحو التالي:

السنة	جملة الصادر بالآلاف	ملاحظات
1952	30	
1953	27,4	
1954	33,7	
1955	35,1	
1956	38,1	

وقد قل صادر الجمال عند الرشايدة كثيراً بعد أن فرضت الحكومة السودانية رسوماً وضرائب وزكاة. [1].

لفظ (التعويل) مشهور عند الرشايدة في قاموسهم اللغوي. وهو يعني (تربية الجمال المصدرة إلى مصر بعناية واهتمام). ولعل الرشايدة هم الوحيدون في القبائل العربية في السودان الذين يعملون على التعويل بمعنى أن تكون الجمال المصدرة في صحة جيدة. وبوصفهم مربي جمال، فهم على علم تام بطب الجمال من حيث أمراضها والأدوية التي يستخدمونها في طبها وما إلى ذلك، خاصة وهم يرعون جمالهم - الآن - في مناطق السافنا الغنية ذات المراعي الطبيعية في كل من السودان وإرتريا، ويؤكلونها نباتات بعينها. [2].

في تربيتهم الجمال لتصديرها، عمل الرشايدة على تربية الهجن، بكسر الهاء والجيم. وهي جمال السباق التي لها سوقها في السودان يأتي من يشترونها كل عام. وجمال السباق هذه دائماً ما يكون عرب دول الخليج العربي حريصين على اقتنائها للاستفادة منها في سباقات الهجن الراتبة هناك في كل عام.

1)نعوم شقير – مصدر سابق – ص 286.

2)ميرغني ديشاب – مصدر سابق– ص 73.

وفي وقت مبكر من سكناهم في كسلا خط لهم الشيخ زايد رئيس دولة الامارات العربية مضمارين لسباق الهجن جنوب كسلا، ويقوم ناظر الرشايدة بالاعلان عن السباق، فيحضره أهل دول الخليج العربي المهمومون بسباق الهجن حيث الهجن السودانية كما يسمونها، كما يحضره السودانيون الذين لهم ولع باستيلاد الابل الأصيلة منل يفعل الرشايدة.

●●

لعل ميناء أدوليس (عدوليس) يعتبر أقدم الموانئ في ساحل البحر الأحمر، وقد اشتهر من الموانىء فيه ميناءا سواكن ومصوع في كل من السودان وإرتريا، فإضافة إلى إدخالهم الزراعة وتصدير الجمال لمصر، وتخطيهم كل العقبات لامتدادهم في الارض من جبال البحر الأحمر في إقامة الموانئ الأهلية إن جاز أن نسميها هكذا.

كان أول ميناء أهلي أقامه الرشايدة في ساحل البحر الأحمر، هو ميناء الشيخ برغوث، وقد اشتهر هذا الشيخ بهذا الاسم المفرد شهرة واسعة ليس في أوساط أهله الرشايدة فحسب بل في أفواه العامة من كبار السن في أقصى الشرق حتى الآن. وقد جاء هذا الميناء في موضع استراتيجي وهو الموضع الذي اختارته حكومة العهد الانجليزي المصري لاقامة ميناء بورتسودان الحالي عام 1906م.

وقدكانت للرشايدة موانئ أخرى ساهمت في التجارة البحرية حاملة مسمى (مرسى). فكان هناك مرسى الشيخ سعد العويمري جنوب سواكن، وهو المسمى مرسى الشيخ سعد. وهنا مرسيا الشيخ ابراهيم في كل من السودان وإرتريا، ومرسى الشيخ مبارك إلى جوار مرسى الشيخ سعد. والراجح أنه لم تكن ترسى فيه البواخر كما الآن، فإنها كانت مراسي سنابيك.

ومن أشهر من استخدموا هذه المراسي من الرشايدة تجار مشهورون منهم العديني الرشيدي الذي تاجر بين جدة وفرسان (جزيرة في جنوب السعودية) والشيخ الشرفي الذي كان يتاجر مع موانئ (مراسي) رأس الخيمة والشارقة ودبي، والشيخ البحيري الذي

تاجر مع الكويت والبصرة والهند وأفريقيا. وكانت تجارة السنابيك هذه تحمل مواداً متنوعة كالتمور مجلوبة من البصرة في العراق لبيعها في سواحل الهند وأفريقيا، إضافة إلى ريش النعام والحجارة الكريمة والشاي والأرز والتوابل والعطور. وقد امتدت تجارة الرشايدة البحرية حتى سواحل شرق أفريقيا. [1].

1) ميرغني ديشاب – مصدر سابق – ص 74.

أندرو بول

التاريخ برؤية المركزية الأوربيّة

(1)

أندرو بول هو صاحب كتاب (تاريخ قبائل البجا بشرق السودان). كان حاكماً للبجا كما وصف نفسه. وأجاد اللغة البجاوية إذ خدم في عهد الحكومة الانجليزية في كل من كسلا وبورتسودان. وكان كتابه هذا قد كتبه في كسلا عام 1954م. وصدر في ذلك التاريخ في اللغة الانجليزية في طبعته الأولى. وجاءت طبعته الثانية بترجمة الدكتور أوشيك آدم علي عام 2016م، وصدرت هذه الطبعة عن مطبعة التراضي بالخرطوم.

(2)

المركزية الأوروبية تُقرأ (المدرسة الأوربية لكتابة التاريخ) كتعريف إجرائي. وهو التاريخ الذي يكتبه الأوروبيون عن الشعوب الأخرى باستصحاب الحضارة والمدنية هي التي عند الرجل الأبيض في أوربا وغيرها من البلدان الشبيهة بها. أما الآخرون، خاصة في أفريقيا، فليس لها سهم في الحضارة أو التمدين.

ومن هنا كان جائزاً استعمار أفريقيا وغيرها لرفع إنسانها الموصوف بالبدائية والوحشية والحيوانية درجة - على الأقل في سلّم الحضارة، وأندرو بول - بوصفه من أوربا، كتب كتابه المذكور وفق المفهوم الأوربي هذا. وهذا ما بان منذ الصفحات الأولى في الترجمة إذ يأخذ المترجم غير قليل من المآخذ عليه.

تاريخ السودان كله مكتوب برؤية المركزية الأوربية. وأنت عندما تقلّب التاريخ المهدوي أو تاريخ الفور أو النوبيين، نجد ذات أسماء المؤرخين يتداولها كتاب التاريخ، وهم مختلفون في إفاداتهم، هذا يقول رأياً ويخالفه الآخر. ونجد في تاريخ السودان لازمة الترجيح. خاصة فيما هو ناتج عن البحث الأثري والتاريخي.

تقول د. سامية بشير دفع الله في إفادة تاريخية (أبرز المنافحين عن هذه النظرية الانجليزي سير هارولد ماكمايكل، كذلك سيليجمان وهرزوك ومردوك وآركل ومك

قافي وآخرون. لكن نلاحظ أن لكل واحد من هؤلاء العلماء رأي مختلف حول تاريخ خروج اللغة من النيل، والطريق الذي سلكته الجماعات المهاجرة حتى وصلت لتلك المواقع في دارفور وكردفان (انظر عنهم ترايفر: 28-27). [1].

ذلك في حديث عن سريان اللغتين المروية والنوبية. هل النوبية هي المروية؟ وهل هاجرت النوبية من الشمال إلى الغرب أم من الغرب إلى الشمال؟. هذا هو الحوار الذي لخصته د. سامية بشير دفع الله. وهو حوار غفلة، لأنه لم تقرأ بعد كل الآثار الخاصة بالتاريخ النوبي، ولم تفك بعد طلاسم اللغة المروية، حوار عن أمرين غائبين.

والدكتورة سامية بشير - هنا - تراوح في مفازات علماء المركزية الأوربية المختلفين، ولم يستقر لها قرار فاستنجدت بالعالم ترايقر. وفي هذا الاختلاف البين بين كل هؤلاء العلماء، تبقى هي، صاحبة رأي آخر أيضاً. فمصطلح (اللغة النوبية) نفسه مصطلح مضلل ما لم يدرس هؤلاء العلماء:

الفروق المفرداتية والصوتية بين لغتي نوبين وأنداندي.

الفروق الصوتية والمفرداتية بين لغتي الكنوز والدناقلة.

الفروق الصوتية والمفرداتية بين الناطقين بلغة نوبين: الفديجا وأهل بطن الحجر والسكوت والمحس.

ما لم يدرس هؤلاء العلماء هذا كله، لا ينبغي لهم أن يستخدموا مصطلح (اللغة النوبية) المضلل، فهناك فروق بين الناطقين بها. [2].

المركزية الأفريقية تقابل المركزية الأوربية. والمركزية الأفريقية التي أسسها شيخ أنتا ديوب عام 1951م. وأنتا ديوب فيزيائي سنغالي درس في وطنه وتخرج في جامعة السوربون بفرنسا. وهو قد أنتج كتابه (الأصل الأفريقي للحضارة) عام 1960م. وصدرت ترجمته عن دار مدارات للنشر بالخرطوم عام 2018م. وهناك جامعة باسمه

1)د. سامية بشير دفع الله – نوبة النيل – ص 75.

2)راجع ميرغني ديشاب – الفروق المفرداتية والصوتية عند الناطقين بلغة نوبين – مخطوط.

في أميركا. [1]. وهناك مدونات الحضارة الأكسومية، وهي أدق إفاداتٍ - في رأينا - لكن، لم يترجم المؤرخون السودانيون - حتى الآن - ما فيها من اللغة الأمهرية.

لعل أفضل كلمة وقفنا عليها فيما يختص بالمركزية الأوربية ما قال بروفسور على عثمان محمد صالح في تقديمه كتاب (مروي حضارة سودانية) لمؤلفه بروفسور ب. ل. شيني. قال (كان شيني منزهاً في ذلك الوقت المتقدم (يعني الستينات من القرن الماضي) عن قبضة المركزية الأوربية التي حكمت كتابات معظم المؤرخين في زمانه، وهذا يحسب له. [2]. فالمركزية الأوربية هكذا، لا يحتج بها. لم يشر د. أوشيك إلى المركزية الأوربية التي ينطلق منها المؤرخ أندرو بول في كتابته تاريخ قبائل البجا. ولو قد انتبه لذلك، لوقف على أن استبخاس أمر البجا في حياتهم ومعاشهم وأحوالهم أمر طبيعي ودرب عند الكاتب المؤرخ لا بد من السير فيه بوصفه واحداً من سدنة المركزية الأوربية، فهو إنجليزي قح لا يرى في الأفارقة - عموماً - إلا أناساً بدائيين لا قدرة لهم على تطور ينتج شيئاً يليق بالانسانية.

في مقدمة الكتاب، يقول المترجم أن أندرو بول (لم يتخل عن موقف حكومته ولا عن قناعاته الشخصية التي تميزتت بصلف وكبرياء ونظرة استعلائية لكل القبائل البجاوية. ولم يستثن قبيلة بل عمم ذلك لجميع أفريقيا). [3]. وقدقلنا من قبل إن الانسان الافريقي يعتبر بربرياً تماماً في نظر الاوربيين. وهذا من مسلّماتهم.

وفي إفادات د. أوشيك، يبدو أن من قرأوا الكتاب أول صدوره في الخمسينات في لغته الانجليزية قد استاؤوا من مادته. يقول د. أوشيك (لقد بلغني أن البعض استهجن بعض ما ورد في الكتاب من معلومات، وحق لهم ذلك، وأنا لست أقل استهجاناً منهم، ولكن، في المقابل، يكون من السذاجة بمكان إن توقعنا أن يرسم الآخرون عنا لوحة وردية كما نبتغي، ولا سيما كان هذا الغير من الأوربيين، ومن غلاة العنصريين، في ذلك الزمن الغابر من مجد امبراطوريتهم الاستعمارية. [4].

1) راجع ميرغني ديشاب – الكوشيون في السودان – كتاب قيد الطبع.

2) راجع ب. ل. شيني – مروي حضارة سودانية – ص 5.

3) أندرو بول – ص 1.

4) أندرو بول – ص 2.

لم يكن الأوربيون عنصريون، وخدمة الامبراطورية كانت شغلهم، وهم قد جنحوا للاستعمار لتمدين أهل الدول التي يستعمرونها وتريحهم بأخذ أيديهم لالتماس الحضارة. وهم على قناعة تامة بجدوى ما يفعلون، سواء كان كتابة تاريخية أو استعماراً أو تصغيراً لما يحكمونهم، كيفما كان هذا التصغير، أو إهانة آدمية الفرد السوداني كما في تاريخهم في السودان.

أذكر وأنا طفل، أن أوربيين كانوا يأتون لبلدنا في جنوب وادي حلفا، دوشات[1] كان هؤلاء يأتون ومعهم خريطة تحدد موقعاً في مساحة أربعة أمتار مربعة أو أكثر. وبحكم التعويد كان آباؤنا مستعدين دائماً لحفر المساحة التي يحددونها، مقابل سبعة قروش في اليوم. كان آباؤنا مضطرين للعمل فيما هم مأمورون به وهو الحفر، حتى إذا وصلوا حداً كأربعة أمتار إلى الأسفل، أمرهم الأوربيون بالتوقف والذهاب بعيداً. فيتخير آباؤنا ظل جبل أو شجر يبقون تحته حتى ينادوهم لعمل جديد بدأوه.

في فترة ذهاب آبائنا بعيداً، كان هؤلاء يبحثون بأدوات خاصة بهم لم نكن نعلم ما هي. لكن منطقة (دوشات) معروفة حتى الآن بل ومشهورة بكثرة المعادن - وخاصة الذهب - فيها وكثرة الآثار فيها أيضاً. وكان قد قام فيها - منذ العام 1947م - منجم للذهب مملوك لعائلة سودانية مشهورة ذات طابع ديني وسياسي مع ثلاثة من الأوربيين كانوا سادة بيننا. وما زالت (شركة الدويشات لتعدين الذهب) تعمل (2021م)، مملوكة لنفس العائلة.

من الأمور اللافتة للنظر قول د. أوشيك (يجدر التنويه هنا أن نشير إلى أن هذه الطبعة لم تختلف عن سابقتها كثيراً، غير أني قمت بتصويب بعض الأخطاء المطبعية إضافة لبعض التغييرات الطفيفة في إعادة صياغة بعض الجمل والتعابير). [2].

لا ندري إن كانت لهذا الكتاب طبعة سابقة ترجمت عن د. أوشيك أو غيره، فالدكتور يقول (هذه الطبعة لم تختلف عن سابقتها). هل هذه الطبعة هي ذات الأصل الانجليزي أم مترجمة؟. على كل حال، نجد في قول الدكتور (قمت بتصويب بعض الأخطاء المطبعية، إضافة لبعض التغييرات الطفيفة في إعادة صياغة بعض الجمل والتعابير) تدخلاً في الترجمة. ومع هذا، يبدو أنه عالج بعض العبارات الحادة في حق البجا إلى عبارات مخففة. ويا حبذا لو كان قد تخلّى عن ذلك.

1) تحول اسم دوشات الآن إلى (الدويشات) عند التعريب.

2) أندرو بول نفسه – ص 2.

التاريخ لا يحتمل أي تدخل في سياقه. فسواء كان أندرو بول قاسياً على البجا أو غير قاسٍ، فما قاله ينبغي أن يبقى كما هو بلا تدخل فيه. فالأوربيون يرون أنهم على صواب في كل ما قالوا ولو كان قاسياً. فالأمر كما قال د. أوشيك بعد سرد بعض ما كان قاسياً (ولكن في الجانب الآخر، يكفينا فخراً أن يُجبروا - رغم أنفهم - للاعتراف ببعض فضائلنا والاستماتة للدفاع عن أوطاننا. لم يكن هذا منّة منهم ولا تفضلاً علينا، ولكن شهادة انتزعناها من بين أضراسهم. وهذا يكفي). [1].

في بعض الكتب التي كتبت عن بعض أهل السودان، نجد هذا الحذف الذي نراه لا يجوز في ترجمة التاريخ. ففي كتاب جون لويس بوركهارت (رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان) كان المشرف على نشره محمد شفيق غربال، قد حذف قولاً لبوركهارت عن نساء بلدة بربر التي مر بها الرحالة. وعلى الرغم من إخفائه ما قال، نشر ما كان من أمر هؤلاء النساء. قال (في الصفحتين: 21 و 215 من الأصل، أورد بوركهارت عن البغاء في بربر تفصيلات لا نظن أن غريباً بكل معاني الغربة كرحالتنا هذا أن يكون لديه الخبر اليقين عنها، وهذه التفصيلات تناقض في نفس الوقت ما أثبته عن أخلاق القوم. ولهذا، وحرصاً على ألاّ نصيب قوماً بجهالة آثرنا عدم إثبات تلك التفصيلات في هذه الترجمة - غربال). [2].

والمشرف على الكتاب، محمد شفيق غربال أثبت البغاء في البلدة المذكورة وحذف تفصيلاته، لكن، ما هي البلاد التي خلت مما قال بروكهارت في ذلك الزمان الذي نفذ فيه رحلته في البدايات الأولى من القرن التاسع عشر، عام 1814م؟.

يقول أندرو بول عن البجا (للتاريخ، فإن بقاء هذه الأمة على هذه الهيئة يعتبر من الأمور التي تثير العجب. وقد يرجع ذلك لأسباب عدة منها قسوة الحياة في المنطقة التي يعيشون فيها، ولكن يرجع - في المقام الأول إلى شخصيتهم المتميزة التي تطبعت لحياة بدوية حرة اقترنت بخشونة خالية من الحساسيات انعكس ذلك على تكوينهم الوجداني والنفسي الذي تميز بعدوانية مقرونة بنزاعات قبلية أصبحت نمطاً من أنماط حياتهم اليومية. [3].

---

1) نفسه – ص 2.

2)ج. بوركهارت – رحلات بوركهارت – ص 173.

3)المصدر السابق – ص 5.

البـدو عمومـاً - وفـق معرفتنـا بهـم في أرض البطانـة وغيرهـا في السـودان - حياتهـم خشـنة. وهـذه العدوانيـة التـي يذكرهـا أنـرو بـول، ربـما ترتبـط بحملهـم الدائـم للسـلاح. فـما يخـرج البـدوي مـن بيتـه صباحـاً، إلا وقـد حمـل سـيفه وعصـاه وخنجـره ومـا يلـزم مـن أدوات القتـال، فـشرق السـودان مليء بعنـاصر بشريـة قـد لا تتجانـس، فهنـاك الشـكرية البـدو ببطونهـم المختلفـة والبطاحـين المشـهورون بالهمبتـة والرشـايدة بسـلاحهم الدائـم. اسـتناداً عـلى هـذا، ربـما لم يـدرس أنـدرو بـول قبائـل شرق السـودان جيـداً رغـم خدمتـه هنـاك.

عـاش صاحـب هـذا الكتـاب في شرق السـودان - أرض البطانـة وكسـلا تحديـداً - بعـد التهجـير النـوبي إلى هنـاك، في الفـترة مـا بـين عامـي 1964–2004م.وتعـرف عـلى كل القبائـل هنـاك. وكان قـد عـاش تنـدر البـدو هنـاك مـن الشـكرية واللحويـين والكواهلـة والبجـا والرشـايدة والبني عامـر والبطاحـين ومـا شـئت مـن القبائـل البدويـة بتنـدرون مـن النوبيـين تنـدراً قاسـياً لأنهـم لا يحملـون سـلاحاً إذا خرجـوا مـن بيوتهـم. [1].

من عادات البجا:

أن البجـاوي يخـرج مـن بيتـه في الصبـاح الباكـر، وإن لم يفعـل ذلـك عـيّره الباقـون. ولا يعـود لبيتـه إلا بعـد مغـرب الشـمس، وفي هـذه الفـترة مـن أول الصبـاح حتـى أول المسـاء يبقـى وحـده غالبـاً في ظـل شـجرة، وهـو يعلـم تمـام العلـم أن حولـه أنـاس يحملـون السـلاح، وقـد حاربـوا البجـا وحاربوهـم هـم، ولهـذا يـأتي التوجـس عنـد الواحـد منهـم. لكنـك إن وصلـت إليـه في (مكمنـه) أكرمـك بالقهـوة المشـهورة عندهـم باسـم (الجَبَنَـة).

قـد ينـام البجـاوي في الخـلاء الـذي يذهـب إليـه صباحـاً. وهـو معـروف بأنـه يصحـو مـن نومـه لأقـل حركـة حولـه. وذلـك لتوجسـه. فـإن وجـدت البجـاوي نائـماً، يجـب أن لا تقـترب منه أبـداً، بـل كـن عـلى مسـافة قـد لا يدركهـا إن صحـا وخطـف سـيفه في سرعـة الـبرق وفقـز نحـوك. وقفزاتهـم مشـهورة، بُعـداً عـلى الأرض وعلـواً منهـا. هنـا، عليـك أن ترميـه بحصـاة أو حدجـر، ليهـب مـن نومـه دفعـة واحـدة، ويقـف في لحظـة خاطفـة، شـاهراً سـيفه، ولا مفـر مـن القتـال إن كنـت عـدواً، أو اكـرام (الجبنـة) إن لم تكـن عـدواً. [2].

---

1)من معارف صاحب الكتاب.

2)من معلومات صاحب الكتاب.

ويقـول أنـدرو بـول (ظـل البجـا عـلى امتـداد تاريخهـم الطويـل في عزلـة تامـة غـير خاضعـين لأي سـلطة مهـما كان نوعهـا أو مصدرهـا بعيديـن عـن أي اتصـال بالخـارج محافظـين عـلى حريتهـم واسـتقلالهم، وغـير عابئـين أو مهتمـين بـما يجـري حولهـم، فهـم لا يطلبـون مـن هـذا العـالم أكثـر مـن أن يتركهـم وشـأنهم، بـل تـزداد فرحتهـم وبهجتهـم أثنـاء الحكومـات الضعيفـة، أو بالأحـرى في حالـة عـدم وجودهـا عـلى الإطـلاق ليتفرغـوا لقطعانهـم وصراعاتهـم مـع جيرانهـم متـى مـا سـنحت الفرصـة لذلـك). [1].

أنـدرو بـول يذهببعيداً هنـا، فالبـدو - أينـما كانـوا - لا يخضعـون لسـوى كيـان القبيلـة. ولهـم تراتـب في السـلطة الحاكمـة في محيطهـم وليـس في الحكومـة المركزيـة، فمركيتهـم القبيلـة وعـلى رأسـها ناظرهـا ثـم عُمـد القطاعـات والشـيوخ. وكـما نـرى هنـا، لهـم كيـان حاكـم يخضعـون لـه تمـام الخضـوع، وحكومتهـم الأهليـة هـذه، هـي التـي يحتكمـون إليهـا. وهـم راضـون بذلـك، فحكومتهـم منهـم وفيهـم. ومـن الغريـب أن لا يفطـن المـؤرخ أنـدرو بـول لذلـك، فالحكومـة التـي خـدم تحتهـا، الحكومـة الانجليزيـة المصريـة هـي التـي أدخلـت نظـام الإدارة الأهليـة في السـودان.

لقـد خـدم أنـدرو بـول في كسـلا أولاً، ثـم كان أن تـم نقلـه للبحـر الأحمـر، ربـما لأنـه أجـاد اللغـة البجاويـة، وفي خمسـينات القـرن العشريـن، الزمـان الـذي كتـب كتابـه فيـه، كانـت الإدارة الأهليـة قائمـة تحـت إدارة الانجليـز، وكان أهـل البـلاد ميالـين للخضـوع لإدارتهـم التـي يعرفونهـا، لا الانجليـز الذيـن لا يعرفونهـم ولم يألفوهـم، فهـم - إضافـة إلى تعاليهـم عـلى النـاس في صلفهـم، كانـوا غربـاء في كل الأحـوال.

لم يخـض البجـا حربـاً في زمـن الانجليـز فيـما نعلـم، سـوى الحـروب التـي خاضهـا البجـا تحـت إدارة الفـارس المهـدوي عثـمان دقنـة، وقـد قـال أنـدرو بـول إن البجـا يتمنـون التفـرغ للـصراع مـع جيرانهـم. ولا نـرى جيرانـاً للبجـا تفرغـوا لصراعهـم غـير أن يكونـوا الانجليـز أنفسـهم، فإننـا لم نقـف عـلى صراع لهـم مـع جـيران أدى إلى حـرب في زمـن الانجليـز. وقـرر أنـدرو بـول أن البجـا يبتهجـون في حالـة الحكومـات الضعيفـة أو عـدم وجودهـا. وهـو - أي أنـدرو بـول - لم يكـن في السـودان إبـان الحكـم المهـدوي أقـرب حكـم للعهـد الانجليـزي حتى

1) أندرو بول – ص 5.

يتحدث عن (حكومات ضعيفة) مرت على البجا. فإن كان يقصد الحكومة الانجليزية المصرية التي عاش عهدها مأموراً بل حاكماً فقد صدق.

ويصور أندرو بول البجا بأنهم (نموذج لشعب بدائي متعطش للدماء وغير جاذب، فقدما المصريين كانوا يلقبونهم بالكوشيين القبيحين. وعلق عنهم بومبيوتوس مِيلا في القرن الثاني بعد الميلاد قائلاً (إنهم أقرب للحيوانات المتوحشة منها للانسان. وبعد ألف عام من ذلك التاريخ قال عنهم الكاتب العربي ابن جبير: إنهم يعيشون كالحيوانات، وتحتاج ديار الاسلام إلى التخلص منهم. وذكر عنهم خوان دي كاسترو الذي شارك في حملة الاستكشاف غير الناجحة ضد السويس عام 1540م بأنهم قوم تفرغوا للسلب والنهب، ووصفهم لينان دي بلفوند بأنهم كذابون ولصوص بعد أن ذكر عنهم بعض الصفات الحسنة). [1].

لقد كانت ثمة حروب بين البجا وقدماء المصريين إضافة إلى مناوشات دائمة. وعلى الرغم من أن مصطلح (المصريين القدماء) مصطلح غامض بحيث ينشأ السؤال: من هم؟ فهم في التاريخ المصري، ومجاوره التاريخ السوداني، يختلفون عما نجده عند شيخ أنتا ديوب في مركزيته الأفريقية. لكن، رغم ذلك نسلّم بالمصطلح لنقول إن البجا رغم ذلك، قاسموا المصريين حوض النيل. أما الانجليز فإنهم مغبونون بالهزائم التي مُنوا بها في سبيل توطيد حكمهم في السودان، ولذلك فهم يكرهون البجا بوصفهم أعداء لهم أبد الدهر.

ربما كان المسكن البسيط الذي هو عبارة عن قبة واطئة تسمى (قو gaw) عند البجا، كان مأخذ الرحالة والقادمين إلى البجا، إضافة إلى أن البجا لا يأكل كثيراً غالباً، فهو يكتفي بالقهوة يصنعها في مكانه في ظل شجرة أو أي ظل زهيد. ولا نشك في أن هؤلاء ينظرون إلى المعمار والقيم الغذائية لطعام البجا عندما يصفونهم بكل ذلك.

نقلاً عن شوينفورث الألماني الذي زار مناطق البجا عام 1863م، يقول أندرو بول عن البجا (إنهم غير كرماء وغير جاذبين وعدوانيون كالشوك الذي ينمو في منطقتهم). [2]. ويواصل المؤرخ أندرو بول في حديثه السابق المنقول عن البجا قائلاً

1) أندرو بول – ص 5

2) نفسه – ص 7.

(أما لجيرانهم ما إذا كانوا الرومان في مصر أو النوبة أو العرب أخيراً في وادي النيل، فهم شعب عدواني ضار تطبّع بكل الصفات الشيطانية. وهذا ما حدا بالقصاصين العرب أن ينسبوهم إلى جن هَفَف أو صَخْر، ذلك الجن الذي كذب على الملك سليمان بن داود في أمر إحدى زوجاته. [1].

ويرجح أندرو بول عما قال بقوله (إنه ليس من العدل الحكم على هذا المستوى البدائي بمفاهيمنا وثقافة عصرنا الذي تعقدت حلقاته. لأنه من غير المنطقي أن ننسى ال أجدادنا [2] الذين وصفهم الرومان عام 54 قبل الميلاد بأنهم قوم قساة ويتوحشون، ثم تغيرت طباعنا وممارساتنا خلال الألفين عام اللاحقة وأصبحنا شعباً مختلفاً عكس البجا الذين لم يبعدوا كثيراً عن ماضيهم الذي تميز بالبداوة والوحشية والعدوانية). [3].

صدق المؤرخ فيما قال هنا، فليس من مقارنة يمكن أن تعقد بين انسان انجلترا وجبال البحر الأحمر التي - ربما - أخذ عنها البجا الصلابة، والصحراء القاحلة التي في الانطلاق فيها الشعور بالحرية ومعايشتها. وأندرو بول الذي كان عهده بالسودان نهايات القرن التاسع عشر، لم يعلم بحروب القبائل في السودان وكيف أن الشعر الشعبي في هذه البلاد مجّد فرسانها، وكيف أن (القيمان) في السودان - منذ العهد السناري - شمروا لقتال كل من يلقونه في طريقهم، فكان الناس قد سموهم (العكاليت) ثم كان أن تحول الاسم إلى (الهمباتة). وقد مارس ذلك كثير من القادرين على الشدائد. وهم الذين يسميهم جاي اسبولدنق باسم الفرسان.[4]

إننا نرى أن كل ما فات وقاله الباحثون والرحالة مما نقله عنهم المؤرخ أندرو بول ناتج عن رؤية المركزية الأوروبية لمن هم دونهم في السياق البشري وعلى رأسهم الأفارقة الزنوج، ونقول الزنوج لأن أهل أفريقيا ليسوا زنوجاً كلهم بل فيهم السمر أيضاً. وقد كان لفظ (السودان) الذي جاء عن العرب دالاً على الأفارقة سوداً وسمراً بل وبيضاً، فلفظ (السودان) - في أصله - جمع لأسود.

●●

1) أندرو بول – ص 7.

2)نفسه – ص 7.

3)نفسه – ص 7.

4)راجع جاي اسبولدنق – عصر البطولة في سنار – ص 192.

ذلك الذي فات كله ضد البجا الذين يصفهم المؤرخون بكل الذي قيل سابقاً. وقد انصب كله على البجا جميعاً. ولعل السودان كله يعلم ما كان من شأن الأمير عثمان دقنة في بطولاته في حروبه ضد الانجليز في شرق السودان مدافعاً عن المهدوية ضد الأتراك. لكن ما قيل في كتاب أندرو بول عن الأمير عثمان دقنه يجب أن يدون، بل يناقش باستفاضة.

يقول أندرو بول (إن عثمان دقنة لم يتمتع بروح القيادة. وكان ينتمي لأسرة كردية هاجرت إلى السودان من ديار بكر، واستقرت - لفترة طويلة – في سواكن حيث تزوج من الهدندوة. وقد فشل كتاجر ومتعهد رقيق وكبائع للماء. والتقى بالمهدي عام 1883م مباشرة بعد سقوط الأبيض. وبعد شهر من ذلك اللقاء، عاد إلى شرق السودان بلقب أمير وبتكليف من المهدي لإثارة القتال ضد الأتراك.[1].

وانتماء الأمير عثمان دقنة إلى الأكراد استناداً على آبائه في نسبهم فصحيح. أما عمله كمتعهد رقيق، فقد جاء في مصادر قليلة منها كتاب أندرو بول الذي نحن بصدده، ولم يذكره المؤرخ محمد سليمان صالح ضرار في كتابه (أمير الشرق) الذي كتب مقدمته د. يوسف فضل حسن.

في مسألة أن الأمير عثمان دقنة قد عمل متعهد رقيق، في معنى أن تجار الرقيق كانوا يرسلون إليه (البضاعة) من الرقيق في بورتسودان، فيستلمها، ويتعهد إرسالها إلى الخارج. يقول: (ضيقت الحكومة الانجليزية الخناق على التجار وفرضت عليهم رقابتها على البحر الأحمر. كان هذا تحت ستار محاربة تجارة الرقيق بينما كانت بريطانيا محتكرة تصدير الرقيق لأمريكا. وفي عام 1877م، أرسل بعض تجار سواكن تجارة لعائلة في الحجاز، وأوكلوا عليها بعضهم. وكان للأمير عثمان دقنة بضائع في هذه القافلة، وقبض على البضاعة ومن معها من التجار وزج بهم في السجن.

سمع الأمير بالخبر وسافر للحجاز وقابل واليه وادعى أنه صاحب هذه البضاعة عليها، وأن المقبوض عليهم أبرياء. وطلب من الوالي أن يضح له التهمة الموجهة لهمن ولم تكن هناك تهمة. واستطاع الأمير – بما له من حنكة - أن يقنع الوالي باطلاق سراح الأمير ومن معه من التجار فسلّمهم بضاعتهم).[2].

1)أندرو بول – ص 85.

2)محمد سليمان صالح ضرار – مصدر سابق – 21–22.

هـذه هـي القصـة التـي حكاهـا صاحـب كتـاب (أمـير الـشرق) فيـما يختـص بعمـل الأمـير عثـمان دقنـة متعهـداً للرقيـق. وقـد أبـان أن سـبب القبـض عليـه وزجـه في السـجن ظنـاً بـأن بضاعتهـم تجارة رقيـق. وتعليقـاً عـلى هـذا، يقـول د. يوسـف فضـل حسـن صاحـب مقدمـة الكتـاب (استطاع المؤلـف أن يفنـد افـتراءات مؤرخـي المستعمر الذيـن حاولـوا النيـل مـن أصلـه بعـد أن فشـلوا في التشـكيك في عقيدتـه. وقـد تبـدّت أصالـة المؤلـف في حسـمه القضايـا التاريخيـة التـي كانـت مثـاراً للجـدل والنقـاش حقبـة مـن الزمـن. [1].

كان الأمـير عثـمان دقنـة قـد ولـد عـام 1843 م، وكانـت أم قد افتتحت خلـوة لتعليم البنات في سـواكن، وكان أبـوه الشـيخ أبوبكـر دقنـة متبحـراً في علـوم الديـن، وحفـظ ولـده عثـمان القـرآن عـلى يديـه قبـل بلوغه عـشر سـنوات، ودرس في (بيـت العلـماء) بسـواكن علوم التوحيـد والتجويد والنحـو، ثـم كان أن سـافر إلى اليمـن دارسـاً في مدينـة (موخـا) [2] ودرس في معاهدهـا الدينية حتى نـال الشـهادة العالميـة. [3]. ولعـل الأمـير عثـمان دقنـة كان مـن أوائـل السـودانيين الذيـن حـازوا على شـهادة العالميـة (بكـسر الـلام) مـن علـم يعلـم علـماً فهـو عالم مـن علـماء اليمـن.

لقـد وجدنـا أن أنـدرو بـول يقـول عـن الأمـير أنـه (عـاد إلى شرق السـودان بلقـب أمـير وبتكليـف مـن المهـدي لإثـارة القبائـل). ويـرى أن (لقـب أمـير) الـذي عـاد بـه لم يكـن لائقـاً بـه. لكنـه كان قـد بلـغ مـن العلـم الدينـي حـده النهائـي في زمانـه، ولم يكـن لقـب الأمـير منحـة مـن محمـد أحمـد المهـدي بـل اعترافـاً بعلمـه وريادتـه. ولم يـأت إلى شرق السـودان (لإثـارة القبائـل) بـل تجييشـها لمحاربـة المسـتعمر الانجليـزي المـصري.

سـيرة عثـمان دقنـة الـذي يـراه السـودانيون بطـلاً وقائـد حـرب محنكـن ملتبسـة تمامـاً عنـد أنـدرو بـول. فهـو يقـول: (أصبـح عثـمان دقنـة، منـذ ذلـك الحـين (أي منـذ نصبـه المهـدي أمـيراً) والسـنين التاليـة مـن أذكـى أمـراء المهديـة، رغـم أنـه لم يحـظ بالموقـع الـذي يليـق بـه. لم يكـن عثـمان دقنـة محبوبـاً وسـط أهلـه، وكان يفتقـد إلى الصفـات القياديـة التـي تتطلـع لهـا القبائـل البجاويـة المحاربـة، عـلاوة لافتقـاده الكـرم والشـجاعة ودماثـة الأخـلاق وروح الفكاهـة). [4].

1) نفسه – المقدمة.

2) هي مدينة المخا الآن.

3) محمد سليمان صالح ضرار – مصدر سابق – ص 21.

4) المصدر السابق – ص 85.

لقد كان محمد أحمد المهدي عارفاً بالرجال. وكان لا يختار للعمل معه في ثورته على الحكم الانجليزي المصري إلا من آمن بدعوته الدينية الثورية حق الإيمان. وكان عثمان دقنة مؤهلاً تماماً لثورة المهدي. فدينياً، كان قد درس على علماء اليمن حتى نال درجة العالمية، ولولا الكاريزما التي يتميز بها بين قومه الهدندوة وغيرهم لما انحاز إليه أحد، ولم ينعقد له قيادة جيوش لمحاربة آلة حربية متقدمة عليه وعلى أهله تقدماً منظوراً.

ويواصل أندرو بول ليقول (كان عثمان دقنة يتّصف بالأنانية والفظاعة، ولم يشارك بصورة نشطة في أي موقعة بعد أول مواجهة مباشرة له مع العدو في سنكات، بل كان يتمتع بملكة غريبة يستطيع معها الانسحاب من المعركة في الوقت المناسب. وشهرته في الخيانة وسوء المعاملة ما زالت عالقة بالأذهان). [1].

من يقرأ كتاب المؤرخ محمد سليمان صالح ضرار عن الأمير عثمان دقنة، يقف على كل الحقائق المتعلقة بالأمير. ولم يكن د. يوسف فضل حسن سيصفه به في (تفنيده افتراءات مؤرخي المستعمر، لولا أنه كان دقيقاً في تناوله سيرة الأمير. فإن تمعن الواحد منا في هذا الكتاب، يدرك أن الأمير كان سوي الشخصية، لم تعرف عنه أنانية ولا فظاعة. وقول أندرو بول عن واقعة سنكات صحيح. وقد انهزم فيها الأمير. وكانت واقعة سنكات هذه في 29/ 8/ 1883م. وكانت بعدها واقعة أبنت في 27/ 10/ 1883م. وكانت فيها إبادة ما جاء به محمد بك توفيق الذي هزم تجريدة عثمان دقنة في سنكات.

إن هزيمة سنكات، في أوائل ثورة عثمان دقنة في الشرق مسحت آثارها واقعة ابنت التي مر ذكرها. يقول المؤرخ محمد سليمان صالح ضرار عن هذه الموقعة (ذاعت إبادة نجدة إغاثة محمد بك توفيق في أبنت وانتشرت في البوادي والقفار، ونقلها الركبان في كل أنحاء السودان وخارجه، وتولى الذين نجوا من معركة أبنت نشر الهزيمة، وارتفعت الروح المعنوية للأنصار والتفت القبائل حول الأمير مبايعة فتكاثر أنصاره). [2].

1) نفسه – ص 85.

2) نفسه – ص 59.

وقد ذكر أندرو بول انسحاب الأمير من المعركة في الوقت المناسب. ولا يؤاخذ عثمان دقنة طالما كان ينسحب من المعركة في الوقت المناسب. وهذا من تكتيكات الحروب في جميع الجيوش حول العالم، ولا يعيّر القائد الحربي إذا فعل ذلك. وقد لا يعلم أندرو أن عثمان دقنة استفاد في حربه ضد القوات الانجليزية في شرق السودان من أمرين:

1. حرب العصابات حيث الطبيعة الجبلية.
2. انعدام السهول حيث مقابلة العدو وجهاً لوجه.

وقد كان عثمان دقنة - في حربه الانجليز عن طريق الضربات الخاطفة - أعني حرب العصابات، يعلم أنه يحارب جيشاً هشاً مجموعاً من عدة جيوش، أي من البلدان التي كان الانجليز يستعمرونها خاصة في قارة آسيا، لكنه كسب كثيراً من حرب العصابات حيث أباد جنود العدو في هجماته المباغتة غير المتوقعة وجمع سلاحهم من بنادق ومدافع. [1]

ويناقض أندرو بول ما قال سابقاً حين يأتي إلى وصف لعثمان دقنة صادر عن وايلد (ولعله أحد القواد الانجليز) الذي يقول (كان عثمان دقنة سكوتاً ونكد المزاج، رغم كل ذلك، فهو يتمتع بموهبة قيادية لا يمكن تفسيرها، إضافة لمقدرته الفائقة في الخداع والاقناع، لعل هذه الأوصاف، علاوة على الحصافة والإصرار الشديد لتحقيق الهدف ساعدته في تكوين جيش قوي. كان الوحيد الذي استطاع أن يصمد بضراوة شديدة ضد المؤرخ أندرو بول أن الأمير مارس حرب الكر والفر مع أعدائه. فقد كان يهجم عليه هجوماً كاسحاً ثم ينسحب بجنوده من ساحة المعركة. هذا كان أسلوبه الحربي. وهو أسلوب نجح في تنفيذه باقتدار لافت للنظر.

وقوله إنه (كان يتمتع بموهبة قيادية لا يمكن تفسيرها) يعني - مباشرة - أن عثمان دقنة - طالما عجز المؤرخين عن تفسير قدراته - كان يتمتع بعبقرية صعب على العدو معرفة كنهها. ولعل القواد الانجليز لم يعلموا بالقوة الكامنة والدهاء الحربي عند من

1)راجع محمد سليمان صالح ضرار – مصدر سابق – ص 103 مثلاً.

وصفوهم بالحيوانية والكسل واللاآدمية وما شئت من صفات سيئة كالها الانجليز على البجا.

في العهد المهدوي (1885–1898م) كان الجيش الانجليزي المتحالف مع الخلافة الاسلامية في تركيا. وقد كان هذا الجيش مخلوطاً بمصريين أيضاً. فقد كان استعمار السودان تركياً مصرياً، أما الجيش الانجليزي الذي تكاثف في البحر الأحمر مختلطاً بالمصريين، فقد كان جيش (مرتزقة) لم يكن يحارب لأجل بلده، بل يحارب في صف الغريب. هنا تنعدم همة قتال العدو، إذ لا هم وطني يحمله قواد وجنود مكوّن الجيش الانجليزي المصري، فهو قتال الخلافة الاسلامية موجهاً لمسلمين.

لقد كان أنصار المهدي ذوي عقيدة راسخة بأن من يحاربونهم كفار، وكانت الحرب - في مفهومهم - حرب مسلمين أتقياء لكفار. ولهذا كانت حمية القتال عندهم عالية شديدة الاندفاع. فهم إذا قتلوا الكفار مصيرهم الجنة، والمقتولون إلى النار. فالحرب عند الأنصار كانت دفعاً عقائدياً لابد من الإيفاء بشروط الاعتقاد الراسخ كأمر إلهي، لكن الحرب لدى المستعمر التركي المصري - وحلفائه الانجليز - كانت حرب متمردين على الدولة، وشتان ما بينهما.

لقد كان أندرو بول قاسياً على البجا، لكنه كان أميناً وهو يقول عنهم في كتابه (قد يكون هناك مبرر موضوعي لدراسة هذه السلالة التي عاصرت الفراعنة في أوج عظمتهم، ثم اندثار ممالكهم، وبعد ذلك دخلت في حروب مضنية مع روما، وقاومت بعد ذلك كل أنواع الاحتلال والهيمنة منذ فجر التاريخ وإلى يومنا هذا، وإن قبلوا اليوم بالاحتلال البريطاني، فلم يكن ذلك من غير تحفظ أو مقاومة. [1].

يأخذ مترجم الكتاب د. أوشيك آدم علي، على أندرو بول (قوته على الثورة المهدية ورمزها الفذ في شرق السودان، الأمير عثمان دقنة) ويردف مع ذلك قوله (كل ذلك لم يكن يثنينا عن ترجمته لما حوى من حقائق كثيرة عن البجا لم تكن معروفة للكثيرين من العامة وربما لبعض الخاصة. يعطي الكتاب سرداً تاريخياً مفصلاً عن قبائل شرق السودان التي يمتد تاريخها المعروف لأكثر من أربعة ألف عام، فهم عاصروا كل

1) أندرو بول – ص 4.

الحضارات التي تعاقبت على منطقة الشرق الأوسط، وجنوب الجزيرة العربية، فضلاً عن الدويلات والممالك السودانية والأثيوبية المختلفة). [1].

ويُظلم تاريخ البجا عندما يقال أنه ينحصر في أكثر من أربعة آلاف عام كما قال د. أوشيك، مترجم الكتاب. يقول أندرو بول عن كتابه (هذا الكتاب هو محاولة لتقصي تاريخ شعب من أقدم شعوب السودان. قد جاء ذكرهم على لسان مختلف الكتاب الشعوب أمثال ليو أفريكانس وراسمي خرائط القرن السابع عشر [2] وفي مدونات مملكة أكسوم وممالك الفراعنة. ومنذ القرون الوسطى عُرف هذا الشعب للعالم الخارجي بالبجا، ولفترة الأربعين قرناً التي عرفوا فيها شاهدوا نشوء وازدهار ثم اندثار كثير من الحضارات والثقافات من غير أن يتأثروا بواحدة منها). [3].

لقد تحدثنا من قبل في اختلافات كتابة التاريخ. وفي ذلك ذكرنا المركزيتين الأوربية والأفريقية والفرق بينهما. وقد برز هذا الفرق فيما أوردنا عن أندرو بول من قبل. ولما كان تاريخ البجا مقسماً - قسمة ضيزى - بين المركزية الأوروبية والأفريقية ومدونات مملكة أكسوم الاثيوبية - كما وضح قبل قليل، فإن هذا التقسيم يضر بثبات التاريخ على قول واحد يحتج به.

المؤرخون برؤية المركزية الأوروبية مختلفون جوهرياً في كتابة تاريخ السودان. [4]. ذلك لأن آثار السودان الدالة على التاريخ لم تكتشف كلها بعد، والمركزية الأفريقية وصل منها كتاب واحد هو (الأصل الأفريقي للحضارة) لشيخ أنتا ديوب حتى الآن. إذن لم يبق سوى أن نكثر من وارد مدونات المركزية الأفريقية إلى السودان إضافة إلى - الأهم - وهو مدونات مملكة أكسوم.

1) أندرو بول – مقدمة المترجم – ص 1.

2) لا نعتقد أنه يعني القرن السابع عشر الميلادي.

3) أندرو بول – ص 4.

4) راجع ميرغني ديشاب – الكوشيون في السودان – كتاب قيد الطبع.

قبائل البجا في مدونات

(1)

لا يختلف المؤرخون كثيراً في القبائل التي يضمها كيان البجا. هناك إفادات تاريخية حول من هم البجا، وإفادات أخرى عن تصنيف لغتهم (تبداويت) في أُسر اللغات الأفريقية كما مر من قبل، وهناك أحاديث عن ممالك بجاوية قديمة، وكتابة تاريخهم وفق مسلّمات المركزية الأوروبية لكتابة التاريخ الأفريقي والسوداني، وهناك سِير العرب الذين جذبتهم المعادن النفيسة في ديار البجا كعرب (دهّابة). وهناك مصاهرة العرب البجا من ربيعة وجهينة وغيرهما.

كل ذلك لا نتناوله في كتابتنا عن قبائل كيان البجا. ومدخلنا لذلك ما قال مؤرخون سودانيون عن لفظ (بجا). ولا نقرب - في هذا - مطوّلات الدكتور أحمد الياس حسين في كتابه (السودان - الوعي بالذات وتأصيل الهوية - جـ2)، عن البجا. وقد ننظر فيه عند مجيئنا إلى أثر البجا في وادي النيل لاحقاً. وحسبنا هنا، أن نرصد قبائل الكيان البجاوي اعتماداً على معارفنا، ثم مدونات مصادر. ومبدءاً، سنجد أن هناك اختلافاً بين تاريخ وتاريخ.

يقول د. عون الشريف قاسم في قاموسه، قاموس اللهجة العامية في السودان (بجا قوم من الحاميين في شرق السودان، وهم عدة قبائل).[1]. وربما توسع د. عون الشريف قاسم فيما قال عن البجا في كتابه الآخر (القبائل والأنساب في السودان). وكتب عن البجا د. مصطفى محمد مسعد في كتابة مطولة، لكنه دار حول حولهم وحول تاريخ الوجود العربي في ديارهم، وحروباتهم التي خاضوها.

لقد كان تعليق جون لويس بوركهارت عن البجا جملة واحدة هي (وليس في نيتي أن أُعلق بشيء على زيارتي فيلة أو جزيرة البجة المجاورة لها فقد تناول هذه الآثار،

1) راجع ميرغني ديشاب – الكوشيون في السودان – كتاب قيد الطبع.

كلها - الكتاب الفرنسي العظيم (وصف مصر) تناولاً لا يترك زيادة لمزيد).[1]. وكانت رحلات بوركهارت عابرة دائماً، لا تترك إلا إشارات إلى التاريخ. إلا أنه - في الجملة التي أوردناها له هنا - أشار إلى الوجود البجاوي في حوض النيل جوار فيلة.

الدكتور مصطفى محمد مسعد يقول (من أهم أقسام البجا في الوقت الحاضر: البشاريين (الصواب البشاريون) والهدندوة والأمرأر وبني عامر والحلاقة).[2]. لكن هذا التقسيم ليس دقيقاً. ذلك أن الهدندوة والأمرأر من بطون البجا الداخلية. والحلاقة - التي يريد بها الحلنقة - يعيشون في كسلا ولا يعيشون في البحر الأحمر والبشاريون - لغة - أقرب للعرب من حيث اللسان، وكذلك البني عامر الذين لهم لغة (تقراي) وهي تختلف عن لغة (تبداويت). ومع هذا، نجد أن الحلنقة والبشاريين والبني عامر معدودون في البجا رغم اختلاف الألسنة. [3].

وأقسام البجا، أي الكيانات ذات العدد الكبير، البجا أنفسهم. وهم في ساحل البحر الأحمر وينتشرون في مدينة كسلا. والبشاريون على الجبال في ساحل البحر الأحمر أيضاً، والبني عامر كيان كبير ينقسم إلى قسمين: قسم في السودان وقسم آخر في إرتريا، أما الحلنقة فقد سكنوا أولاً حول جبل ا لتاكا ثم رحلوا إلى قرية خاصة بهم في مدينة كسلا.

على الرغم من أن بعض البجا يرون أنفسهم عرباً، والأمر صحيح عند قليلين منهم، إلا أننا نجد في بعض الأحيان تعابير مثل (قبيلة البجا) - قبيلة بني عامر، قبيلة الحلنقة، وما إلى ذلك من قسر الانتساب وفق ما تواتر من مصادر منشورة، وغير منشورة، وما اتخذته الكيانات البشرية في السودان من أنساب موضوعة في بدايات القرن السادس عشر الميلادي كما أوردنا من قبل، على الرغم من ذلك نقول أن لفظ (قبيلة) لا ينطبق على كل البجا. فلفظ (قبيلة) لفظ خاص بالعرب فق، والكيانات الأفريقية

1)جـ. ل. بوركهارت – رحلات بوركهارت – ص 115.

2)د. مصطفى محمد مسعد – مصدر سابق – ص 29.

3)من معارف صاحب الكتاب.

ليست (قبائل) إنما هي شعوب. فالبجا شعب وليس قبيلة. ولفظ البجا يحو سائر قطاعاته: الحلنقة والبني عامر والبشاريين.

تماماً كما كتب المؤرخون عن البجا، كتبوا عن أقسام البجا. وفي التاريخ نجد أن هناك كتابات - عن سائر البجا - برؤية المركزية الأوربية لاحقة معها مدونات المؤرخين العرب الذين أفاض في الأخذ عنهم مؤرخ كالدكتور أحمد الياس حسين في مؤلفه المذكور سابقاً. لكن، يبدو أن المؤرخين يعنون بلفظ (البجا) من يعيشون منهم في ساحل البحر الأحمر ما عدا البشاريين ومن يعيشون منهم في مدينة كسلا، وفي التفريق بين البجا نجد أسماء قطاعات منهم مثل: البجاوي، الحلنقي، البني عامر، البشاري، على الرغم من أن لفظ (البجا) يجمعهم.

••

لعل ما يعكر نقاء الهوية البجاوية قطاعان هما: البلو والحضارمة الذين يسميهم البجا باسم (الحدارب). والحضارمة مهاجرون من حضرموت في اليمن. يقول د. مصطفى محمد مسعد في كتاب (العرب والبجا في العصور الوسطى) (لعل البليين هم الذين أشار إليهم الادريسي من بقايا البليميين القدماء الذين بسطوا سلطانهم على البجة الشماليين في العصر البطلمي ثم الروماني في مصر، وكونوا طبقة حاكمة عرفوا بها أحياناً كثيرة، والراجح أن البليين وأسلافهم البلميين يرجعون إلى أصل عربي. ونجد تأييداً للقول بأن البليين من العرب في مدلول لفظ بليميين أو بلين في اللغة البجاوية. أي التبداوية.

ذلك أن البجا يطلقون على العرب في لغتهم التبداوية اسم (بلاوى). [1]. ولغة البجا حاضرة منذ القدم والآن في البحر الأحمر حيث تلاها، وفي مدن كسلا وحلفا الجديدة وأرض البطانة عموماً في الحلاّل بين كسلا وبورتسودان ومدينتي هيا وأروما. بل وخشم القربة والقضارف. وكان صاحب هذا الكتاب قد درس في مخطوط له (البجاوية في عامية السدان العربية) و (البجاوية في شعر بوادي السودان) في كل من أرض البطانة وغرب السودان عند عرب الكبابيش وغيرهم من منتجي ما يسمى باسم الدوبيت.

1)د. مصطفى محمد مسعد – مصدر سابق – البجة والعرب – ص 6 –13.

لا يسمى البجا لغة العرب (بلاوى). ولعل لفظ (بلاوى) دال على (العربي) عندهم لا لغته، خاصة عند مستعربيهم. والعرب في لغة البجا (بلويت)، ولغة البجا (تبداويت) لا (التبداوية) كما جاءت عند د. مصطفى محمد مسعد في الفقرة التي أخناها عنه. ومقطع (ايت = eet) بإمالة الهمزة إمالة طويلة بالكسر أداة نسبة عند البجا. ولا ينبغي أن يقال إن لغة البجا هي التبداوية، بل إن لغة البجا هي (تبداويت) دون أل التعريفية التي هي لازمة من لوازم اللغة العربية.

ويقول د. مصطفى محمد مسعد عن الحدراب (الحداربة)، هم الحضارمة من حضرموت، جاؤوا من بلاد العرب في القرن السادس الميلادي، وكانوا وثنيين ثم اعتنقوا المسيحية تشبهاً ببعض البجا، وها هم يعتنقون الاسلام في القرن العاشر. ويرى بول أن الحداربة هم البليون الذين أشار إليهم الادريسي، ومعناها في لغة البجا العربي ويقول أحد أفراد قبيلة الأمرأر أن البليين جاؤوا أصلاً من الحجاز). [1].

كان مسمى (المملكة العربية السعودية) اسماً لشمال الجزيرة العربية مسمى حديثاً جداً، وهو المسمى الذي حاز على جغرافيته الآن. لكن، كان له اسمه لدى أهل السودان سابقاً هذا المسمى. فالذي جرى في ألسنتهم في ذكرة والإشارة إليه هو لفظ (الحجاز). وحتى الآن، نجد هذا اللفظ سائراً في ألسنة النوبيين كما عند الآخرين من كبار السن. ولا شك في أن المؤرخين استخدموا لفظ (الحجاز) في مسماه القديم، وكذلك البجا، اسماً لمقصد كل من عبر البحر الأحمر إلى هناك سواء شماله أو جنوبه.

على هذا، نجد في القول السابق (إن البليين جاؤوا أصلاً من الحجاز) تعبيراً يتوائم مع (الحضارمة من حضرموت، جاؤوا من بلاد العرب)، فالقول الأول ذات التعبير الثاني، لا فرق بينهما فهما يأتيان في معنى واحد. وقوله (وكانوا وثنيين ثم اعتنقوا المسيحية) يشير إلى أنهم جاؤوا في زمان جاهلية العرب. وما كان للدكتور مصطفى محمد مسعد ان يأخذ عن (واحد من قبيلة الأمرأر). فهو قول لا يحتج به وإن صدق في لفظ (الحجاز).

1) المصدر السابق – ص 128.

إذن فالحدارب هم البلو ذاتهم. ويبدو أنهم صاروا حكام البجا. يقول د.كتور مصطفى مسعد نقلاً عن كراوفورد (إنه مما يؤيد صحة نسبهم العربي (أي البلو) استعمالهم الحصان الذي يكرهه البجا، ويضيف أنهم اضطروا للهجرة جنوباً ووضعوا أساس مملكة البلو. والبليون ربما يرجعون إلى قبيلة بلي التي هاجر بعض جماعاتها إلى إقليم البجة قبل الاسلام). [1]. وقول كراوفورد إنهم كانوا يستخدمون الحصان، قول يتبعه سؤال: يستخدمونه في ماذاظ

العرب كانوا - في جاهليتهم والاسلام - يستخدمون الخيول في الحروب. فهل كان استخدام الخيول في حرب أو حروب ضد البجا مثلاً؟. لا نشك في ذلك، خاصة وأنهم (وضعوا أساس مملكة البلو). وليس من المعقول أن يقيم وافدون (مملكة) بلا حرب ينتصرون فيها، اي بلا سيف يجعل أهل البلاد خاضعين لهم.

هذه الحرب المفترضة، لا يذكرها د.مصطفى محمد مسعد، ولا كراوفورد ولا أندرو بول الذي يحول الأمر لسبب آخر لخضوع البجا للوافدين. يقول (بدأت في القرن السابع الميلادي موجة متقطعة من الغزو العربي لمنطقة البجا، ولكن هذا الغزو لم يكن بالكثافة الشديدة غير أنه كان كافياً ومؤثراً لتحول جميع البجا إلى الاسلام. يجدر بالذكر أن أوائل المهاجرين العرب لم يكونوا مسلمين، وكانوا ينتمون إلى الجزيرة العربية، وعبروا البحر الأحمر ليستقروا بين قبائل البجا في عيتباي وتلال سنكات. تمتعت هذه المجموعة بالسيادة على قبائل البجا الذين تزاوجوا معهم. وسبب هذه السيادة هو التفوق الحضاري والثقافي من ناحية، والنظام الاجتماعي السائد بينهم والمتمثل في توريث الأم من ناحية أخرى). [2].

هنا يقرر أندرو بول أن سيادة البلو على البجا جاءت للتفوق الحضاري أو توريث الأم، وهو توريث - تمليك - ابن الأخت وبنت الأخت [3] المشهور الذي يراه المؤرخون ذريعة لتملك العرب. ونحن لا نرى - كما نوهنا من قبل - صواباً في نشر

1) د. مصطفى محمد مسعد – مصدر سابق – ص 128.

2) أندرو بول – مصدر سابق – ص 51.

3) تمليك ابن الأخت كان أكثر شيوعاً عند النوبيين.

العربان الاسلام - بهذه السهولة - بين اهل البلاد لأسباب نكررها، منها حاجز اللغة، ولا نعول على التفوق الحضاري والثقافي للعربان المهاجرين إلى هذه البلاد فقد كان من العرب المهاجرين من لم يكن لديهم حضارة الاسلام، أما عن المصاهرة مع الأهلين، فقد قلناه سابقاً. ونشير إلى القارئ الكريم أن كل ذلك قد ضمنه كتابنا (النوبيون والاسلام) قيد التحرير الآن.

ويقول أندرو بول (من الثوابت التاريخية أن العرب وفدوا إلى ديار البجا قبل الهجرة [1] ويقال أنه كانت هناك بعض اعتقادات المسيحية اليعقوبية وسط البجا، ولم يتخلّو عنها إلى الاسلام إلا في القرن التاسع [2] بعد الغزو العربي لمصر. وعرف العرب المهاجرون بالحدارب، والكلمة هي تحريف بجاوي لكلمة الحضارمة والتي يستشف منها بأن غالبية هؤلاء المهاجرين كانوا من حضرموت. غير أنهم كانوا يعرفون بين البجا بالبلو، وذلك بسبب اللغة العربية التي كانوا يتحدثون بها، أي البلويت. التسمية السائدة بينهم إلى يومنا.

لقد أدى استعمال اسمين مختلفين لنفس المجموعة العرقية إلى كثير من اللبس والاعتقاد الخاطئ بأن هذين المصطلحين يعنيان مجموعتين مختلفتين عكس ما هو راسخ في أذهان البجا. عن أصل المجموعة الوافدة يقول واحد من مؤرخي الأمرأر إن البلويين ما هم إلا عرب جاؤوا من الجزيرة واختلطوا بالقبائل المحلية قبل الهجرة المنظمة إلى السودان). [3]

بعد أن التأريخ للبلو كعرب مهاجرين إلى ديار البجا، تظهر أقوال أخرى في هذا التأريخ. يقول أندرو بول عن البلو (يميل كثير من الكتاب إلى تصنيفهم بأنهم بجا، وقد يكونون محقين في ذلك استناداً للتزاوج المكثف مع البجا والذي استمر لقرون من الزمان حتى تلاشت فيهم الدماء الحميرية. سميت هذه المجموعات [4] بأسماء مختلفة

1)يعني قبل أن يهاجر العرب بكثافة كبيرة إلى السودان.

2)يعني القرن التاسع الميلادي.

3)أندرو بول – مصدر سابق – ص 51–52.

4)يعني مجموعات البلو.

مثل بلو وبالاو وغيرها من التسميات العرقية التي امتدت لرقعة جغرافية واسعة حتى مدينة هرر.

نسبهم البعض خطأً إلى الكيلوْ الذين يمثلون قبيلة بجاوية معروفة تعيش لبعض الوقت في القاش وخور بركة، كما نسبوا أيضاً إلى قبيلة بجاوية في هضبة التقري لها ارتباط بالحبشة وطُردت إلى السهول الغربية في القرن الرابع عشر، ويقول لونقوق أنه مما لا شك فيه أن البلو من أصل بجاوي ودخلوا إرتريا كوثنيين واستقروا على الساحل حيث اعتنق بعضهم الاسلام في القرن الخامس عشر واعتنق البعض الآخر المسيحية). [1].

إن صدق ما قال لونقوق أن البلو من أصل بجاوي، يبقى لفظ (بلو - بلويت) لفظاً في اللغة البجاوية يطلق على العرب عموماً، وقد جاء اللفظان مع لغة البجا منذ عهود بعيدة بعد الوجود البجاوي في بلاد السودان، ولم ينبتا مع الوجود العربي في ديار البجا. والاسم (بلويت) سواء كان اسماً أو وصفاً، كان من نصيب العرب الذين وصفناهم باسم (الدهابة) في الزمان الذي هجموا فيه على ديار البجا بحثاً عن المعادن، خاصة معدن الذهب كما ورد سابقاً.

لفظ (البلو) و (الحدراب) مازالا دائرين في ألسنة وأقلام المؤرخين. ما قلناه سابقاً عن اختلاف مؤرخي المدرسة التاريخية الواحدة في استنتاجات التاريخ، يتجلى لدرجة اللامعقول في كتابات الكتاب وتخريجاتهم. ما ينتهي منه أحدهم إلا ويمسك آخر بالموضوع يقلّبه من جديد. هذا نجده في كتاب أندرو بول كأظهر ما يكون الاختلاف. ونزعم أن قولنا منذ البداية أن ما يعكّر نقاء هوية العنصر البجاوي ألفاظ (بلو - بليين).

يقال (يدّعي روسين بأن هناك مجموعتان من البلو، الأولى في الشمال وهي تمثل الحدارب الذين تمركز وجودهم في عيتباي وسنكات، ومجموعة آخرى جنوبية شكلت النواة التي نشأت حولها مملكة البلو التي ازدهرت في الرقعة الجغرافية الممتدة من سواكن إلى مصوع. يعتقد كيروان أن اسم البلو ينحدر من كلمة البليميين، هذا بالطبع استنتاج غير صحيح، لأن البلو ما هم إلا حميريين هاجروا من الجزيرة العربية في القرن السادس قبل الميلاد ولم يكن لهم أي اتصال سابق بالبجا الحاميين.

1) أندرو بول – ص 52.

أما الادريسي فيرجع أصلهم إلى الروم (الإغريق). وهذا أيضاً اعتقاد خاطئ، لأنه حاول أن يربط بينهم وبين معتقدهم الديني آنذاك هو المسيحية اليعقوبية. أما مونزقار فيعتقد أنهم جاؤوا في القرن الخامس عشر[1] من الشمال[2]. قد يكون ذلك صحيحاً فيما يخص ما يعرف الآن بإرتريا لأنهم طُردوا في تلك الأثناء من عيتباي، ثم من منطقة سنكات إلى المنطقة الجنوبية. قد يكون كراوفورد محقاً في إرجاع نسبهم إلى الدم العربي، غير أنه فشل في إيجاد علاقة بينهم وبين الحدارب. هذا الخلط كان بسبب التسميات المختلفة التي أطلقت عليهم، فمثلاً، نجد أن الأحباش يذهبون إلى أبعد من ذلك، فيطلقون كلمة الحدارب على مجموعة كبيرة تشمل فيما تشمل الدبينات والشكرية، قبائل لا علاقة لها بالبلو. [3].

لا نعرف شيئاً عن الدبينات المذكورين هنا، ولعل الاسم محرّف عن أصل. لكننا نعرف الكثير عن قبيلة الشكرية العربية الحاكمة في أرض البطانة من عام 1791م عند تسجيل أرض البطانة باسم الشيخ عوض الكريم أبو سن في عهد مك سنار بادى ولد دكين، حتى الآن. وكنا قد تناولنا تاريخ الشكرية في مخطوط لنا ه (الحاردلو - الشعر والسلطة). وتوصلنا فيه إلى تاريخ غير مكتوب عن الشكرية حتى مصادر الشكرية العديدة أنفسهم.

وفي الفقرة السابقة نجد (هجرة البلو من الشمال). يعني من إرتريا إلى داخل أرض البجا. ويرجح ذلك أن البلو من البني عامر القطاع المعروف بكبره في البجا، والذين ينتشرون الآن في كل من السودان وإرتريا. وطالما كان الأحباش (يطلقون كلمة الحدراب على مجموعة كبيرة تشمل فيما تشمل الدبينات والشكرية كقبائل لا علاقة لها بالبلو) كما جاء في الفقرة السابقة، فهنا قول هو أن أندرو بول لم يكن على علم بالعلاقة العرقية بين البني عامر والشكرية في ذلك التاريخ المبكر من عام 1954م. عام صدور كتابه.

إن كتاب (ملامح من تاريخ قبيلة الشكرية في سهل البطانة وشرق السودان) لصاحبه الباحث عثمان حسن بابكر الصادر عام 2017م، يؤرخ للعلاقة بين البني عامر والشكرية. يقول الباحث (إن الفرع المسمى (بني يشكر) جداً للشكرية كان من زعم ماكمايكل وتبعه في ذلك عبدالمجيد عابدين اللذان يرجعان قبيلة الشكرية إلى قبيلة ربيعة، رد عليهما ضرار صالح ضرار بأن نسبتهم إلى الطالبيين اعتماداً على ابن خلدون

1)يعني الميلادي.

2)إلى الشمال يعني من موضع دولة إرتريا الآن.

3)أندرو بول - ص 52.

القلقشندي. ويقول النسابون الشريف شاكر بن هزاع العبدلي وهو شيخ الأشراف المحمودية العبادلة وابنه الشريف هزاع، لهما شجرة نسب جامعة للأشراف تقول: بعد رجوعنا إلى كتب المؤرخين وجدنا إشارة واضحة إلى صحة نسب الشريف منصور بن أبي نَمِّي وقصة انتقاله إلى سواكن. وفي الأنساب أن الشريف محمود جد الأملدا والشريف شكر جد الشكرية). [1]. وتعد قبيلة الشكرية كبرى القبائل التي سكنت أرض البطانة ونسبهم إلى الحسن بن أبي طالب. [2].

هذا نسب ثانٍ للشكرية، وقد نسبهم غير واحد من الكتاب والمؤرخين لجهينة، وفي مدوناتهم لهم نسب راكز لعبدالله بن جعفر بن عبدالمطلب. ولهم شعر في هذا النسب يفتخرون به. لكن ما قاله الباحث عثمان حسن بابكر عن أن الأملدا من البني عامر هم أبناء عمومة للشكرية من الوجاهة بمكان. وينبغي أن يؤخذ به. فقبيلة الشكرية لها علاقة قديمة بالبني عامر، فالشاعر أبو دقينة ود قلبوس مؤرخ حروب الشكرية شعراً هو ابن خالة أبو علي أبوسن من أكبر فرسان الشكرية وهو من البني عامر. [3].

كانت للبجا ممالك، سنأتي ذكر بعضها مما يدخل في محتوى هذا البحث فحسب. وفي كل الأحوال، لا يقف أندرو بول في حدود ما قال سابقاً عن البجا عموماً، والحدارب والبلو خصوصاً، بل يواصل حديثه قائلاً حول سيادة الحدارب – البلو على البجا:

(هناك دلالة واضحة على أن النظام الطبقي الذي جلبه الحدارب معهم من الجزيرة العربية ومارسوه على القبائل البجاوية، وهو نفس النظام الذي كان سائداً وسط السبئيين (وسنتناولهم لاحقاً) قبلهم وبقيت آثاره إلى القرن العشرين، لذلك، فالحدارب كانوا يمثلون طبقة حاكمة بسبب انتمائهم العربي وتحولهم إلى الاسلام الذي اعتنقوه منذ زمن بعيد. ذلك رغم أن المسعودي يرعى أن إسلامهم كان رقيقاً. أما القبائل الخاضعة لنفوذهم، فكانت تدين بوثنية مقرونة بمسيحية ضعيفة وبقيت على ذلك حتى القرن الرابع عشر الميلادي). [4].

---

1) عثمان حسن بابكر – ملامح من تاريخ قبيلة الشكرية – ص 43.

2) عثمان حسن بابكر – ملامح من تاريخ قبيلة الشكرية – ص 44.

3) أحمد ابراهيم أبوسن – تاريخ الشكرية – ص 64.

4) أندرو بول – ص 55.

إن سيادة الحدارب على البجا بسبب انتمائهم العربي أولاً وتحولهم إلى الاسلام ثانياً، لا يعني أبداً أن العروبة كانت ميزة تسوق إلى سيطرة على حكم وسلطة، وكما قلنا سابقاً، فإن الوصول إلى السلطة لا تحدث إلا بحرب، ومكرراً نعيد قولنا هذا، ذلك إن لم يكن الحدارب (البلو) كياناً هاجر من الشمال - أي من إرتريا إلى العمق من ديار البجا. والبجا - عموماً - لهم صلات قديمة بشرق أفريقيا، خاصة الحبشة وإرتريا.

في إطار السعي نحو العروبة، حولت بعض بطون البجا نسبها البجاوي إلى بني كاهل (الكواهلة) الذين يعيشون - حتى الآن - إلى جوار البجا. يقال في ذلك (علاقة البجا بالكواهلة كانت ممتازة، وبالذات بعد اسلامهم، وكان ذلك سبباً في المصاهرة بينهم، حتى أن قبيلتين بجاويتين، هما الأمرأر والبشاريين ارتضوا أن ينسبوا إلى بني كاهل). [1].

لا يعرف على وجه التحديد متى تم اسلام البجا. ونحن لا نقرن أسلمة البجا بدخول العرب إلى بلادهم كما قلنا سابقاً. وقد كان ميل الأمرأر والبشاريين للانتساب إلى الكواهلة وقاية من الاسترقاق. فالكواهلة - بانتمائهم إلى الزبير بن العوام - من قريش. وقد يكون ميلهم هذا عند سريان الحكم التركي المصري في السودان إذ كانت العروبة وقاية من الاسترقاق وقد أمالت الكثيرين.

ثم حديث يقول (عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قريش والأنصار وجهينة ومزين وأسلم وغفار موالٍ ليس لهم مولى دون الله ورسوله). [2]. وربما كان هذا الحديث قد وقر في آذان كثير من أهل السودان جعلهم في لهفة للنسب العربي إلى آل بيت رسول الله ﷺ.

إن الدليل على أن العرب لم ينشروا الاسلام واللغة العربية في السودان أول عهدهم به عندما كانت معاهدة البقط مع البجا عام 652م، أي في القرن السابع الميلادي، والعهد الذي كان بين العرب والبجا في القرن الثامن الميلادي تقريبا. [3]. الدليل على ذلك أن البجا (اعتنقوا الاسلام في الفترة ما بين القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وقد كانوا يرون أنه من الكياسة والوجاهة الانتساب إلى العرب). [4]. وقد رأينا من قبل صوراً من هذا الانتساب.

1) أندرو بول - ص 59.

2) ماكمايكل - مصدر سابق - ص 27.

3) د. مصطفى محمد مسعد - مصدر سابق - ص 263.

4) أندرو بول - ص 62.

ثم مجموعة أخرى عربية في ديار البجا. يقول أندر بول (أما المجموعة العربية الأخرى ذات الأهمية والتي اختلطت بالبجا فهي قبيلة الأشراف التي ظهرت في سواكن لأول مرة في عام 1350م، ثم الملهيكتناب والسقولاب. وجميعهم ينتسبون إلى قبيلة بكر، ودخلوا السودان مع الحملة التي أرسلها ناصر بن قلاوون إلى النوبة عام 1289م عندما رجع جيشهم وآثروا البقاء بالسودان هاجروا إلى القاش عن طريق نهر عطبرة)[1].

ويطلق اسم (الأشراف) على كيانات دينية في السودان. يقول د. مصطفى محمد مسعد (في نهاية القرن العاشر الميلادي، غادرت مصر جماعة من سلالة جعفر بن أبي طالب مكة واستقروا بين قوص وأسوان حيث عرفوا باسم الأشراف الجعافرة نسبة إلى جعفر بن أبي طالب). [2]. ويحدد د. عون الشريف قاسم الأشراف في قاموسه (الأشراف يل المهدي وأيضاً قبيلة بجاوية). [3]. وفي ديار البجا كانت – وما زالت – لهم القيادة الدينية. [4].

وفي فترة تدفق العناصر العربي على ديار البجا آثرت بعض القبائل العربية البقاء في ديار البجا وانصهرت في الكيان البجاوي الكبير. ففي تلك الفترة (تم وفود قبائل صغيرة – عبر سواكن – مثل الحلنقة والأرتيقة والأشراف والحسناب ثم استقرارهم في مناطق مختلفة من ديار البجا واختلاطهم معهم لدرجة أنهم أخذوا عنهم اللغة والعادات مما يعكس تناقضاً صريحاً لنظرية سليغمان التي تفترض بأن العنصر الحامي والسامي يقود – بالضرورة – إلى هيمنة العنصر السامي وفرض لغته، وبمعنى آخر: اختلاط العنصر العربي والحامي يؤدي حتماً إلى غلبة العنصر العربي). [5].

هذا الرأي الذي أورده أندرو بول أخذاً عن المؤرخ سيلغمان في حاجة إلى نقاش. ولعل سليغمان نظر إلى دولة السودان وهو يقول قوله هذا. فما حدث في السودان – كمثال – أن السلطة السياسية – منذ عهد دولة الفونج – جعلت اللغة العربية لغة إدارة دولاب الدولة والتعليم معاً. ودعمت اللغة العربية في دساتيرها فتعبير (اللغة العربية

1) أندرو بول – ص 59.

2) د. مصطفى محمد مسعد – مصدر سابق – ص 260–261.

3) د. عون الشريف قاسم – قاموس اللهجة العامية – مادة أشرف.

4) يعني بهم المجاذيب وكانوا من أهم مناصري المهدية في ديار البجا.

5) أندرو بول – مصدر سابق – ص 23.

هي لغة الدولة الرسمية) ما غاب عن دستور سوداني، ولم يتغير إلا في الدستور الانتقالي لسنة 2005م إذ أضيف أن اللغة الانجليزية هي اللغة المعتمدة في جنوب السودان.

على ذلك، تبنى الشارع السوداني اللغة العربية فصارت هناك ثنائية لغوية عند الناطقين بغير العربية، فلكي يتواصل الفرد السوداني مع غيره – في الأسواق ودواوين الدولة – كان لزاماً عليه أن يتحدث بالعربية ويكتب بها في حالة ارتياده ديواناً من دواوين الدولة. لذلك سادت اللغة العربية في السودان، فلم تكن هناك غلبة للعنصر العربي في السودان، لغوياً أو ثقافياً إلا بدعم الدولة وآيديولوجيتها التي تبنتها. وقد عالجنا كل ذلك في كتابنا – قيد الطبع – (التعريب والأسلمة في السودان).

الخلاصة التي نخرج بها،أن البجا عناصر حامية في قطاعاتهم الأربعة التي ذكرناها، وهجرة (البلو) – نسبة إلى قبيلة (بلى) العربية إلى ديار البجا تتراوح بين ما في التاريخ، وما في الجغرافيا، فالقول بأن البلويين هاجروا من الجنوب إلى شمال أرض البجا، يبقى قولاً لابد من دراسته. أما العناصر العربية التي اختلطت بالبجا، فكان أن صارت بجاوية في لغتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها، فلغة البجا كانت الأقوى وليس لغة العناصر العربية الوافدة.

طالما كان البجا عنصراً حامياً، فإن لغة (تبداويت) لغة حامية، ولا نجد في أُسر لغات أفريقيا لغرينبرج، أسرة للغات الحامية. ولهذا، تأتي دعوتنا إلى تصنيف لغات السودان تصنيفاً جديداً يتماشى مع الواقع التاريخي، ونذكر هنا المشروع اللغوي الذي افترعه د. عشاري أحمد محمود وضرورة الانتباه له.

●●

البشاريون على الرغم من أنهم من البجا، إلا أنهم أكثر استقلالاً عن الكيان الأم، وهذا الاستقلال ناتج عن بعدهم إلى مصاهرة قبائل عربية من غير البجا. ويشاركهم في هذا قبيل آخر من البجا. وقد كان الكواهلة أكثر الكيانات العربية قرباً إلى البجا إذ هم مجاوروهم.

يقول أندرو بول، وهو يتحدث عن مصاهرات قبائل ربيعة وغيرها من البجا، يقول (منذ ظهور الهدندوة والأمرأر والبشاريين ككيانات قبلية مستقلة، يغلب عليها

العنصر الحامي، في القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، بدأوا يتزاوجون بكثافة مع قبائل غير بجاوية. فبشاريو عيتباي بدأوا يتزاوجون مع العبابدة، وبشاريو عطبرة مع الجعليين والميرفاب، هناك أيضاً قبائل هدندوية أخرى مثل البشاراياب والجميلاب واقرعيب ترجع أصولهم إلى الشكرية والجعليين والفونج على التوالي). [1].

البشاريون أقرب للعبابدة أيضاً. وقد كانت صحراء العتمور شرق النيل، والصحراء الكبرى غرب النيل، براحاً للرعي لهما - البشاريين والعبابدة - فقد انتشروا في الصحراوين وفي غرب دنقلا، وحتى في وادي حلفا. [2]. وقد كانت السلطات السودانية قد صادقت لهما بالرعي في أراضي الإطماء جنوب مدينة وادي حلفا منذ بدايات السبعينات من القرن الماضي. وللبشاريين وجود في أقصى شمال السودان الآن. [3].

يقول د. عون الشريف قاسم في قاموسه (بشاري ضرب من الجمال محمود من منطقة البشاريين بشرق السودان. بشاريون: قبيلة من البجا تسكن شرق نهر عطبرة ويصلون أنفسهم ببني كاهل). [4]. وقد قلنا من قبل أن لفظ (قبيلة) خاص بالعرب، وهو مصطلح عربي لا ينطبق على غير العرب، ولا الحاميين كالبشاريين. إضافة لذلك، فإن البشاريين يحسبون في شعب البجا.

لا ندري من أطلق على عناصر (التقراي) لفظ البني عامر. فلفظ (تقراي) هو الاسم الذي ينبغي أن يطلق عليهم حيث في إرتريا - وهم منتشرون في السودان وإرتريا - يسمون (تقراي) وفي السودان (البني عامر). هذه الثنائية الاسمية، موّهت دراسة (بني عامر). فقد ذهب بعض المؤرخين إلى نسبتهم بالمشاهير من قبيلة (بني عامر) العربية العدنانية ا القديمة، بل وصنّفت لغتهم (تقريخة) التي يتحدثون بها في كل من السودان وإرتريا ضمن اللغات السامية.

1) أندرو بول – مصدر سابق – ص 23.

2)من ملاحظات صاحب الكتاب خاصة.

3)من معايشات صاحب الكتاب.

4)د. عون الشريف قاسم – مصدر سابق – مادة بشاري، بشاريون.

في اختلاط البجا لعناصر عربية (سامية) يقول أندرو بول (لم يكن غريباً أن يتوصل سيلغمان ومعاونوه من الباحثين في بداية القرن الماضي إلى تغيرات عميقة في التركيبة العرقية للبجا. ونكون مُحِقِّين - في الوقت الحاضر - إن قلنا إن البجا الآن يمثلون خلطة حامية سامية. ويمكن تقسيمهم إلى مجموعتين رئيسيتين: المجموعة الأولى هي المجموعة الجنوبية (تقراي - البني عامر) التي تغلب عليها الدماء الحامية ولكنها تتحدث لغة سامية، والمجموعة الثانية هي الشمالية ذات الدماء المختلطة والتي تتحدث لغة حامية وتتمتع بصفات وقسمات حامية أكثر من المجموعة الجنوبية). [1]

هنا وقفة في أن يكون هناك عنصر عامي يتحدث لغة سامية. والمعنيون بهذا هم (البني عامر) الذين يسميهم أندرو بول بالمجموعة الجنوبية لأنهم يتكاثفون في الجنوب في الحدود وداخل دولة إرتريا. فالسودان - مثلاً - منقسم الهوية بين العروبة والأفريقانية، ومع ذلك، يتكون من عناصر حامية (أفارقة) كالنوبيين وبعض العناصر البشرية في دارفور وجبال النوبة وشمال كردفان وديار الأنقسنا والبجا بقطاعاتهم البشرية المختلفة. وهؤلاء - جميعاً - عناصر حامية ولغاتهم حامية وإن خالطتهم عناصر عربية أو غير عربية، فالعرب عرب والأفارقة أفارقة اختلاطهم بالعرب لا يؤثر في هويتهم العرقية. وكيان (البني عامر - تقراي) يجب فهم هويته العرقية واللغوية هكذا.

ما نقوله هنا، مخالف لما عليه تصنيف اللغات في السودان، وبالتالي، خلخلة الهويات اللغوية والعرقية والثقافية وما إلى ذلك من مسلّمات التاريخ والجغرافيا والواقع. لكن المشتغلين باللغات في السودان لا يرون ما نرى. وقد حق لهم ذلك، لكن، عليهم مراجعة ما يعكفون عليه من تضليلات غرنبرج على أساس أنها الشائعة والمقبولة.

اكتفى د. عون الشريف قاسم في قاموسه أن (بنوعامر، قبيلة بجاوية). [2]. لكن هارولد ماكمايكل توسع في حديثه عن البني عامر في أكثر من موضع. أولاً، يبدو أنه نظر في لفظ (البني عامر) كلفظ عربي، وبنى عليه ما قال. قال في كلامه أولاً ناسباً لهم

1) أندرو بول – مصدر سابق – 23.

2) د. عون الشريف قاسم – مصدر سابق – مادة عَمَر.

للعرب (البني عام هم أحفاد عامر، احتلوا الحبشة وحكموها). [1]. وقول ماكمايكل هنا أن (بني عامر هم أحفاد عامر، لا يفهم منه شيء، والحق أنهم أحفاد عامر أو أبناؤه لا فرق، خاصة، وقد قال مرة أخرى (بنو هلبة عرب في الغرب ويتحدرون من عرب بني عامر في الحجاز). [2].

في نسب آخر، يقول هـ. ماكمايكل: (بني عامر، هم سلالة عامر بن الطفيل، دخلوا الحبشة وكانوا حكامها واشتهروا بالشجاعة والإقدام). [3]. ويتطابق اسم (بني عامر) في السودان اسماً لـ (تقراي) مع اسم (بني عامر) القبيلة العربية العدنانية المشهورة في الجزيرة العربية والذين تنتمي إليهم قبيلة (بني هلبة) في السودان.

قلنا إن هـ. ماكمايكل قد توسع في الحديث عن (تقراي) باسم البني عامر، ونحن نرى أن اسم (البني عامر) اسماً لتقراي قد جاء إلى كيانهم منذ القرن السادس عشر عندما تم(وضع وترتيب) أنساب أهل السودان، الحديث الذي قلناه من قبل. المؤرخون والكتاب يكتبون عن (البني عامر) على أساس أنهم من عرب بني عامر العربية، وربما على هذا تم قياس لغتهم بوضعها في أسرة اللغات السامية.

يقول ماكمايكل هو يتحدث عن لفظ (مانجلك) الذي ظهر في عهد دولة الفونج (يقال إن الاسم ذو أصل همجي.[4]إلا أن مصدره غير معروف، يلازم تلك الرتبة الحق في اعتمار الطاقية المماثلة لتلك التي يعتمرها ملوك سنار، وكان حق اعتمارها وقفاً على مكوك فازوغلي وشيخ البني عامر والعبدلاب،وملك الجعليين. يضاف لهؤلاء شيوخ الحمدة والكماتير في مركز خشم البحر - أي أعالي رفاعة - كما يقول الخديات في كردفان، بأن زعيمهم كان يحمل هذا اللقب في وقت ما، هذا ما يؤكده الغير).[5] .

1)هـ. ماكمايكل – مصدر سابق – ص 92.

2)نفسه – ص 176.

3)نفسه – ص 282.

4) نفسه – ص 283

5)الهمج ي سلطنة الفونج من حكموا بعد عام 1762م.

عن النسخة الانجليزية لكتاب أندروبول يأخذ دكتور مصطفى محمد مسعد، ليقول (هؤلاء الحضارمة عرفوا عند العرب [1] باسم الحداربة الذين استقروا في إقليم العتباي في الشمال، ثم اضطروا إلى الانتقال جنوباً في القرن الخامس عشر الميلادي.حيث أسسوا مملكة البلو (مملكة البني عامر) في إقليم طوكر). [2].

إن أسماء (بلي) كعرب مهاجرين لديار البجا، والبليميين، والبلو، – فيما نرى - اسم لكيان واحد، لقد اختلفت الأسماء في حروفها، ولكننا نقدر أنها تنحصر في (البلو)، يقول د. مسعد (الظاهر أن البليميين هم البجا أو شعبة منهم، ففي القرن الرابع عشر كانت هناك جماعة تسكن في الصحراء الشرقية يقال لها البليون). [3]. كذا نجد اختلاط الأسماء. وقد كانت الأسماء التي أطلقها الرومان على الأماكن والناس جنوب مصر، بدلاً عن أسمائها الحقيقية - وما زالت - مربكة تماماً.

حامية تقراي (البني عامر) نقرأها في كتاب أندرو بول ايضاً. يقول (الملامح الحامية أكثر ظهوراً في فروع البني عامر الناطقين بلغة (بداويت) والذين يعتقد أنهم أكثرهم نقاء فيما يخص الدم الحامي، وأقلهم اختلاطاً بالقبائل الأخرى. وتتألف قبائل البني عامر من المتحدثين بالتقري والتي ترجع جذورها إلى أصول حامية واختلطت منذ أمد بعيد بدماء سامية مما أكسبها لغة مختلفة وملامح وعادات مختلفة). [4].

كما ترى، هناك تناقض فيما قال المؤرخ أندرو بول. فالبني عامر - كما يسميهم هو وغيره من المؤرخين - من الناطقين بلغتي (تبداويت) و (تقري). وكذلك الآخرون من البجا. ولا يُفهم أن الناطقين منهم بالبجاوية أكثر أو أقل حامية من العناصر الأخرى الناطقة بلغة تقراي. وقد قدمنا أن هجرة قبائل (بلي) إلى ديار البجا لا يستقيم - كمخالطين لهم - مع ما وجدنا أن (البلو) هم البني عامر (تقراي).

في حديث عن أصل البجا، وقد أثبت أندرو بول عبارة (ينسب البجا إلى كوش بن حام وهاجروا إلى السودان بعد الطوفان). [5]. يثبت هذا ويقول (قد يصعب

1)قوله (عند العرب) يعني العرب وسط البجا.

2)د. مصطفى مسعد – مصدر سابق – ص 109.

3)نفسه – ص 29.

4)أندرو بول – ص 17.

5) أندرو بول – ص 19.

التسليم المطلق بالعبارة السابقة التي وردت على لسان أحد مؤرخي الأمرأر، غير أن جميع المصادر تؤكد على الأصل الحامي للبجا، وأنهم هاجروا في وقت مبكر من جنوب الجزيرة العربية)[1]. وهذا في حاجة إلى نقاش:

إننا نرى أن ما قاله أحد مؤرخي الأمرأر صحيح تماماً. ولعل أندرو بول - كما كثيرين غيره من المؤرخين تحت مسلّمات المركزية الأوربية - لم يدرك مسلّمات المركزية الأفريقية الناقضة لمركزية أوروبا. وهو لا يرى في البجا عناصر كوشية. فحضارة مروي (كوش) لم تكن محصورة في السودان إنما غطت الجزيرة العربية وامتدت حتى فلسطين. وكانت أفريقيا تحت جناحها.

إن الجزيرة العربية تنقسم إلى شمال يحتوي على العدنانيين وجنوب يحتوي على القحطانيين أهل اليمن، وهم من حمير فقضاعة. والقول بأن البجا هاجروا إلى السودان بعد الطوفان - إن كانوا قد هاجروا أصلاً - منتسبين إلى كوش بن حام أو حام بن نوح عليه السلام، فهم كوشيون. فالكوشيون من العرب من هم جعل عدنان جد العدنانيين.[2].

وتم تنبيه إلى أن (البني عامر) من العناصر البشرية القديمة جداً. فإنه (يرى سيليغمان أن البجا - وبالبذات بعض مجموعات البني عامر الناطقة بالتقري - يمثلون النموذج الحالي لقدماء المصريين. ولعله من المقنع اعتبار البني عامر الذين يشكلون أقل قبائل البجا تغيراً، الممثلين الحاليين لقدماء المصريين والنوبة، وأنهم لم يخضعوا لكثير من التغيير على مدى الألف سنة الأخيرة).[3].

قدماء المصريين هم النوبيون،فحضارة مروي (كوش) في امتدادها إلى الشمال، سادت في مصر. وكان شيخ أنتا ديوب قد اخترع معملاً للكشف عن المومياءات لوناً وتاريخاً، وكشف فراعنة مصر، فإذا كلهم سود، ولإقامة الحجة التاريخية، نشر في كتابه (الأصل الأفريقي للحضارة) صور هؤلاء الفراعنة السوداء والسمراء.

1) المرجع نفسه – ص 19.

2)ميرغني ديشاب – الكوشيون في السودان – تحت الطبع.

3)أندرو بول – ص 19–20.

وشيخ أنتا ديوب لا يرى في السود زنوجاً، تماماً كما يرى د. أحمد الياس حسين، فهو - أنتا ديوب - صاحب نظرية (اللون الوسيط) الذي هو السمار. ولا يرى في سكان أفريقيا زنوجاً، فهم أصحاب هذا اللون الوسيط، ويرجع سوادهم لافرازات بيولوجية توجد في كل الناس، تفرز في ظروف مناخية بعينها. وقد قدم أنتا ديوب - في هذا كله - محاضرة في القاهرة عام 1974م مبيناً أصل الحضارة المصرية القديمة [1].

وينقسم البني عامر إلى حوالى ثلاث وعشرين بطناً أوردها أندرو بول في كتابه الجامع عن البجا. [2]. وكان عددهم في عام 1954م 15000 نسمة، يعيشون موزعين بين دولتي إرتريا والسودان. ومن العناصر البشرية التي انضمت إليهم، وصارت منهم، بعض من قبيلة المعاليا في جنوب دارفور، هم الذين يشكلون قطاعاً من البني عامر الآن مندمجين فيهم تمام الاندماج في الشرق.

يقول الباحث الشيخ حسن محمد مضوي في كتابه (ملامح من قبيلة المعاليا)، يقول تحت عنوان (معالية شرق السودان - معلا، معلوت) (في حكاية بيت مَعْلا - إحدى قبائل البني عامر الشهيرة روايات كثر، يقول أهلنا في دارفور وكردفان، وبعض معالية النيل الأزرق إن معالية الشرق نزحوا من منطقة (شكا) في دارفور، إثر عضبة رحم. فقام ثلاثة أخوة أو اثنان هجروا أهلهم وسافروا إلى أقصى ما يمكن في فهمهم. وقد كانت هجرتهم إلى أقصى شرق السودان حيث استقروا في ضيافة البني عامر. وبعد إقامة ليست بالقصيرة، في احترام متبادل بين زعيم البني عامر وأفراد قبيلته وبين الوافدين، قرر زعيم القبيلة تزويج كبيرهم بابنته، فنشأ من نسلهما هذا السيل الهجين الذي صار بمرور الزمان ساعد الإدارة القوي لقبيلة البني عامر، وهم (بيت مَعْلا). [3]. وقد انصهر هؤلاء في كيان (تقراي) وتمثلوا عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وصاروا بيتاً من التقراي.

••

قبيلة الحلنقة من مكونات كيان البجا. ويأتي اسم الحلنقة في المصادر المختلفة بتحريفات، مثل الهلنكة والهلانقة والحلنكة وغيرها، وقد شاع عن الحلنقة أنهم من

1) ميرغني ديشاب – الكوشيون في السودان.

2) راجع أندرو بول – ص 112.

3) حسن محمد مضوي – ملامح من قبيلة المعاليا – ص 28.

حفروا نهر القاش. نجد ذلك سواء في المصادر التاريخية كما في أفواه الناس من العامة والخاصة خاصة في شرق السودان.

يتراوح تاريخ الحلنقة بين المركزية الأوربية في رؤيتها لكتابة التاريخ، والمركزية الأفريقية ومدونات الأكسوميين وهي المدونات التي غالباً ما لا يعيرها المؤرخون السودانيون اهتماماً، وطالما كان تاريخ الحلنقة موزعاً بين هؤلاء جميعاً، فلابد من وجود اختلاف في تاريخهم، واختلاف هذا التاريخ من مركزية لأخرى، ومن مركزية لمدونات الحضارة الأكسومية. ويمثل المركزية الأوربية - في تاريخ الحلنقة - المؤرخ أندرو بول الذي كتب في تاريخ قبائل شرق السودان.

قال د. عون الشريف قاسم في قاموسه عن الحلنقة (حلنقة قبيلة من البجا بشرق السودان ترجع بنسبها إلى هوزان). [1]. وقوله (ترجع بنسبها ....) ربما أشار إلى أن الحلنقة أنفسهم هم الذين وضعوا لأنفسهم هذا النسب العربي الذي يعود إلى جد العرب عدنان. وقد كانت قبيلة هوزان - في العرب - من القبائل العربية المعتبرة في جاهليتها وإسلامها.

وعلى الرغم من أن الحلنقة يعيشون - متركزين - الآن في قرية لهم في مدينة كسلا، الأمر الذي يجعل الآخرين يحسبونهم كياناً صغيراً، إلا أنهم سكنوا أولاً حول جبل التاكا المشهور في هذه المدينة ثم اختطوا قريتهم هذه، ولهم انتشار بين البجا، في ديار الشايقية، وفي ولاية نهر النيل وغيرها.

كتب المؤرخ أندرو بول عن الحلنقة يقول (تعتبر هذه القبيلة التي لا يتعدى عددها الآن (1954) أكثر من 2500 شخص، من أولى القبائل العربية التي تنتسب إلى اسماعيل. [2]. وقد دخلت هذه القبيلة السودان بعد اعتناقها الاسلام عن طريق يختلف تمام الاختلاف عن الطرق المعهودة الأخرى. يقال إنهم من بني سعد، وعبروا البحر الأحمر في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان 685-705م). ولكن أكثر الآراء ترجيحاً أنهم ينتمون إلى نفس الأصول التي تنحدر منها عرب الحوازمة.

1) د. عون الشريف قاسم – مصدر سابق – مادة حلنقة.

2) إسماعيل هو جد العرب العدنانيين.

تقول روايات الحلنقة إنهم استقروا في البداية في مرتفعات التقري في حوالي القرن الثامن الميلادي، ولكنهم طردوا من هناك بسبب الخلافات الناشبة بين القبائل المحلية. بدأت تلك الأثناء، تطرأ كثير من مظاهر الضعف على مملكة أكسوم. وهذه المملكة، رغم أنها كانت على علاقة وطيدة بمكّة، إلا أن وجود قبيلة مسلمة وسط غالبية مسيحية لم تكن من الأمور المقبولة. فكان نزوحهم.

نزحوا عبر (ميرب) (القاش) إلى التاكا حيث استقروا حول جبال تولوس (جبال كسلا) وبسطوا نفوذهم وزراعتهم حتى دبآب (مكلّي) بدلتا القاش، وهناك تزاوجوا - ليس فقط - مع القبائل البجاوية والتقري (بني عامر - قادياب - بليني - حفرا - سيقولاب - مليكتناب وغيرهم) بل مع القبائل العربية مثل العبدلاب والأشراف والرباطاب والجعليين. ولا زالت هذه العملية مستمرة.

للحلنقة ارتباط بالخواو يض (آل الخواض) حول كبوشية بالمديرية الشمالية[1]. ويروى أن شيخاً حلنقياً استقر في فترة من الزمان في أبي طليح في صحراء بويضة[2] وتزوج هناك فتاة من العواضية وحاول - بعد ذلك - أن ينزح مع زوجته إلى كسلا ولكنه لم يصل إلى أبعد من كبوشية على الشاطئ الشرقي للنيل، وعشيرته هناك. [3].

لا ندري لماذا سمي الحلنقة باسم (جماعة الكهوف). فأندوا بول يقول (تضم مخطوطة الشيخ أحمد الفكي المعارف مرجعاً هاماً عن الحلنقة يقول فيه: يعتقد أن جماعة الكهوف الذين يسمون باسم الحلنقة كانوا يعيشون حول الجبل الكبير اللوس بين التاكا واثيوبيا. وفي عام 1780م، أرسل سلطان الفونج الثاني عدلان حملة ضدهم لم يكتب لها النجاح لمقتل قائدها).[4]. وهنا ثم ملحظ هو أن دولة الفونج انتهت عام 1762م، وصار الهمج في رأس الدولة. ولعل (عدلان) المذكور هو محمد عدلان.

في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي (بدأ الهدندوة يتوسعون نحو الغرب، أي نحو

1)الولاية الشمالية: حسب التقسيم الجغرافي عام 1954م.

2) أندرو بول – ص 119.

3)المرجع نفسه – ص 120.

4) المرجع نفسه – ص 120–121.

عطبرة، وهم يدفعون الحلنقة إلى جبال كسلا، وبالذات إلى منطقة فاكيندا التي تعتبر الموقع الحالي لكسلا. وقد انخرط الحلنقة في وظائف صغرى في مؤسسة الحكم التركي المصري. لكنهم وجدوا عنتاً شديداً في العهد المهدوي إذ كانوا يتبعون الطائفة الختمية التي عملت لصالح الانجليز ضد المهدي. وقد حاربتهم المهدية.

إذا راجعنا ما فات، في دفع الهدندوة للحلنقة إلى الوراء، يطرأ في ذهننا أن الحلنقة امتدوا إلى الشرق حتى ديار الهدندوة الذين دفعوهم إلى جهات كسلا. لكن المصادر تتفق في أن الحلنقة هاجروا من الشرق، أي الحبشة، إلى كسلا حيث سكنوا حول جبل التاكا. وقد لا يشذ مصدر عن القول بهذا، فالحلنقة هاجروا، نعم، لكن بقوا في الموضع الذي هاجرا إليه حتى الآن وهو مدينة كسلا.

وقد كتب عن الحلنقة آخرون، ربما قبل أندرو بول. فقد (اعتقد ليجات - خطأً - وهو قد زار كسلا عام 1860م أن الحلنقة يمثلون فرعاً من فروع الحماسين، وذلك بناءً على اللغة التي يتحدثونه. ثم أضاف أن الحلنقة هي المجموعة الوحيدة بين المجموعات الناطقة بالتقري والتي تمارست نظاماً اجتماعياً يؤثر المساواة للجميع. أما وين الذي صاحب حملة أحمد باشا أبو ودان، فيقول عنهم (إنهم سلالة تميزت بالوسامة ورقة الاحساس بعيداً عن الكذب والوحشية اللتين يميز بها آخرون. [1].

إن اللغة التي يتحدث بها الحلنقة هي تبداويت، لغة البجا، وإن كان هناك اختلاف طفيف عنها تماماً كما نجد البني عامر (تقراي) في لغتهم التي نجد فيها مفردات عربية. ويرى الحلنقة أن علياب الأمرأر ينسبون إليهم. ورغم أن الحلنقة لا يشكلون ثقلاً قبلياً اليوم إلا أن تركيبتهم السلالية أتاحت لهم خصائل مميزة مثل الوسامة والذكاء والمقدرة السريعة على التأقلم). [2].

وفي تاريخ الحلنقة اختلاف. هذا الاختلاف في متى وجد الحلنقة في السودان، خاصة في موضعهم الحالي في مدينة كسلا. هذا هو السؤال الذي نجد له إجابات مختلفة. ففي التاريخ أن الحلنقة جاؤوا إلى السودان كأول هجرة عربية إلى هذه البلاد، وأنهم كانوا

1) أندرو بول – ص 121.

2) نفسه – ص 121.

مسلمين، وقد جاؤوا بعد بزوغ فجر الاسلام في الجزيرة العربية. ويرى المؤرخون أنهم من قبيلة هوزان، يقول الباحث محمد سليمان صالح ضرار (الحلنقة من أصل عربي، وينتسبون إلى قبيلة هوزان، ونزحوا لهذا الإقليم أيام ولاية الحجاج بن يوسف، وتوغلوا في بلاد الحبشة طلباً للرزق. وكانوا يركبون الخيل، ويحملون السياط. وسماهم الأحباش (حلانقا) ومعناها باللغة الحبشية السوط، سوط العنج. وهم الذين شقوا نهر القاش)[1]. وعلى مثل هذا يرى أندرو بول أنهم هاجروا إلى السودان عام 690م. ويقول ما قال الباحث السابق. [2].

رأي تاريخي آخر يرى أن الحلنقة لا علاقة لهم بقبيلة هوزان، ولا بالعرب. يقول د. أحمد الياس حسين (قبيلة الحلنقة تمثل واحدة من أقدم السلالات في منطقة البجا. ربما يعود تراثها إلى ما قبل القرن الرابع قبل الميلاد. وقد ورد ما يوضح أن المنطقة كانت مأهولة بالسكان [3] مما يعني أن قبيلة الحلنقة ظلت موجودةفي المنطقة). [4]. إننا نرى أن ما قال د. أحمد الياس حسين هو التاريخ الصحيح للحلنقة.

1) محمد سليمان صالح ضرار – مصدر سابق – ص 15.

2)أندرو بول – ص 107.

3)المنطقة يقصد بها منطقة التاكا.

4)د. أحمد الياس حسين – مصدر سابق – ص 133.

الوجود البجاوي في حوض النيل

البجا يتكونون من قطاعات بشرية عديدة كما مر من قبل. ومع هذا، ليس من المعقول أن تكون هذه القطاعات - جميعها -قد كانت جزءاً من حوض النيل قديماً. وقد مر أن البجا كيانات. منها التقراي (البني عامر) الحلنقة والبشاريين تعغطيهم - جميعاً - مظلة البجا ككيان جامع. على ذلك، ينشأ السؤال: ما هو القطاع - من البجا - الذي كان له وجود في حوض النيل؟. يبقى هذا سؤالاً معلقاً حتى الإجابة عليه.

ولعلنا قدمنا القول في أن البجا كانوا على علاقة جغرافية - إن صح أن نقول - فهم قد كانوا يجولون في الصحراء الكبرى غرب النيل وصحراء العتمور شرقه. وكان أكثر الجائلين كيانات البجا خاصة البشاريون. قد يكونم هذا بعيداً عن موضوعنا، لكنه - في كل الأحول - يعبر عن الإلفة مع النيل على الأقل لشرب مواشيهم عند الرعي في الصحراءين. وجود البجا في وادي النيل، من الحوارات التي طرحها غير واحد من المؤرخين. ونحن نجد هذا الوجود في مصادر متاحة لنا. منها ما أخذ عن المؤرخين العرب، ومنها ما يعود إلى المركزية الأوربية، ومنها ما فيه اجتهاد يأخذ من هذا وذاك. لكن - في كل الأحوال ، نجد أن هذا الوجود حقيقي. لكن، كما وضعنا سؤالنا في البداية. ينبغي أن نخلص إلى الكيان البشري البجاوي الذي كان وجوده في وادي النيل.

موضوع هذا الوجود، نناقشه في ثلاثة مصادر. د. أحمد الياس حسين في كتابه (السودان - الوعي بالذات وتأصيل الهوية– الجزء الثاني)، وكتاب أندرو بول المذكور كثيراً في كتابنا هذا، وكتاب هارولد أ. ماكمايكل (تاريخ العرب في السودان) في جزئه الأول. وقد نعرج لإفادات المؤرخين العرب، خاصة وهم من يعول عليهم د. أحمد الياس حسين تعويلاً شديداً في كتابه الذي ذكرناه.

بدءاً،نشير إلى أن ألفاظ (بلي) القبيلة العربية المفترضة التي منها البجا والتي هاجرت إلى السودان، و (بلو) الذي يمثل قطاعاً من البجا، و (بلويين) الذي لا شك أنه جمع لـ (بلو) وبليميين اللفظ الذي يتردد كثيراً عند المؤرخين دالاً على البجا، ألفاظ مربكة في اكتشافها، ذلك إلى جانب الأسماء الرومانية التي أطلقت على الأماكن والسكان، مما يزيد الأمر إرباكاً على إرباك. [1].

---

1)راجع د. أحمد الياس حسين – السودان – الوعي بالذات – جـ 2– ص 62.

أخذاً عن اليعقوبي، يورد أندرو بول ممالك البجا على النحو التالي: (ذكر المؤرخ اليعقوبي في كتابه (البلدان) الذي كتبه في التاسع الميلادي وجود تسع ممالك بجاوية في المنطقة الممتدة من أسوان إلى مصوع. وهي كالآتي:

تانكش: امتد نفوذها من أسوان إلى خور بركة، سكان هذه المملكة كانوا من قبائل شتى مثل الحدارب والزنافيق والأربجدا. وقد عرفت بمناجم الذهب والزمرد والرخام.

بلجين: أرض المدن الكثيرة، سكانها من الوثنيين والسحرة الذين كانوا يزيلون أهداف عيونهم وأسنانهم الأمامية.

بازين: كانت تجاور بلجين من جهة ومملكة علوة النوبية من جهة أخرى.

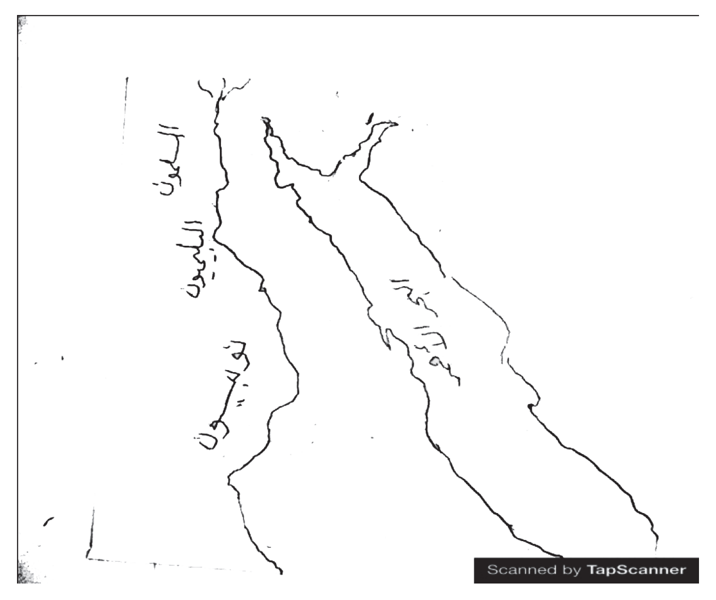
جارين: امتدت من باضع على البحر الأحمر إلى خور بركة...الخ. [1].

لم يورد أندرو بول الممالك التسع، وقد حذفنا نحن اسم مملكة بالقرب من جزيرة دهلك بين إرتريا وبلاد اليمن. فهي ليست على النيل. وأندرو بول لم يحدد الممالك التي على النيل ولا اليعقوبي الذي أخذ عنه.

بقليل من الحدس نستطيع أن نستنتج أن مملكتي تانكش التي امتد نفوذها من أسوان إلى الجنوب، وبازين التي يقال إنها تجاور مملكة علوة هما المملكتان اللتان على النيل. لكننا لا نعتقد أن مملكة بازين تجاور مملكة علوة النوبية التي نعرفها، فعلوة بعيدة إلى الجنوب كثيراً، والغالب أن قطاع البجا - على ساحل النيل - كان في منطقة (مريس) أرض المملكة النوبية (نوباتيا) في أقصى الشمال.

1) أندرو بول – مصدر سابق – ص 55.

يوافق ما قلنا الخريطة التي أوردها أندرو بول في كتابه وهي على النحو التالي:



هذه الخريطة التي رسمناها نقلاً عن أندرو بول . [1]. تشير بوضوح إلى موقع القطاع المفترض من البجا في حوض النيل. وقد قدرنا أن رسمنا جزءاً منها يوضح موقع (المسلمين) الذين دائماً ما تشير إليهم المصادر على أنهم أهل مصر، والبليميون هم القطاع البجاوي في حوض النيل، والنوبيون هم المسيحيون ليكون الكيان البجاوي بين المسلمين والمسيحيين. على أن ذيل الخريطة ينتهي في مملكة نوباتيا جنوباً.

الخريطة - كما ترى ناطقة، فوجود البلمينن (البجا) في غالب المصادر، حقيقة. وبقي البحث في لفظ (البليميين) من هم؟ هل هم البجا أم كيان من كياناتهم؟ وعلى الرغم من أننا تحدثنا - من قبل - عن الألفاظ الدالة على البجا، بقي البحث في تلك الألفاظ ذاتها، خاصة وأننا في طور جديد من البحث بعنوان جديد.

يقول أندرو بول عن بعض اضطرابات في مصر عام 30 ق.م. (نشبت في عام 23 ق.م. اضطرابات على الجبهة الجنوبية [2]وتم إرسال قوة انتقاماً لهجمات النوبة على

1) أندرو بول – مصدر سابق – ص 44.

2)نفسه – ص 43.

أسوان. لم يعرف البجا في تلك الأثناء إلا القليل. والبجا - كما هو حالهم الآن - كانوا يشكلون قبائل متفرقة لا تجمعهم قيادة واحدة، غير أن المجموعة التي أطلق عليها الكتاب الكلاسيكيون اسم البليميين هي مجموعة حضرية استقرت على مشارف النيل، وتختلف جذرياً عن تلك المجموعات البدوية التي تسكن الصحراء وساحل البحر الأحمر.

تحدث استرابو عن مجموعات مختلفة تسكن تلك المناطق، شمل ذلك البليميين والمقابارين الذين استوطنا وادي النيل وحول برنيس. لم يعرف من هم المقابارين، إلا أنه من الأرجح أنهم يمثلون كالبليميينن فرعاً من فروع القبائل البجاوية. وتُبدي بعض المصادر تحفظاً في ربط البليميين بالبجاا لما تميزت به المجموعة الأولى (أي البليميين) بثقافة متطورة وحياة استقرار لم يتوافرا لقبائل البجا الرعوية). [1].

هنا نجد فرعين من البجا استوطنا في وادي النيل، وفرع المقابارين غير معروف. لكن، هناك ترجيح أن سكان وادي النيل هم البليميين، هكذا دون تعريف عند أندرو بول الذي يأتي برأي آخر أنه (يقول كراوفورت (كذا) في مؤلفه (جزيرة مروي) إن ربط البليميين بالبجا الذين يكنون عداءً شديداً للحضارة، أمر يفتقد الموضوعية. وفي اعتقادي أن هذا الرأي خاطئ. والسبب في ذلك هو عدم توفر مصادر كافية توضح أن البليميين تمتعوا بحضارة رفيعة نابعة عن ذاتيتهم، بل المعروف عنهم أنهم استقروا في مناطق حول وادي النيل قبل أو في عام 200 قبل الميلاد، ولكنهم (من خلال معرفتي بالبجا الحاليين) لم يعرفوا كسكان مدن، ولم يكتب لهم الاستقرار إلا بعد الاستيلاء الجزئي أو الكلي لأراضي الغير). [2].

في سيرنا نحو التحقق من البليميين، نجد مؤرخاً يتحدث عن عدم تمتعهم بحضارة رفيعة نابعة منهم. ويبدو الأمر هنا أنهم أخذوا مقداراً من التحضر من غيرهم. لكن، من هم هؤلاء الغير؟. وقول الباحث الكريم هنا أن البليميين استوطنوا (حول) وادي النيل وليس في وادي النيل. أي على شاطئ من شاطئيه.

1) أندرو بول – مصدر سابق – ص 43.

2)نفسه – ص 44.

وتجريد البليميين من أية حضارة تكذبه الآثار التي وجدت في موضعهم المفترض في صعيد مصر إذا تجاوزنا حوض النيل. يقول أندرو بول (من الصحيح أن حفريات كروانوق تتحدث عن فترة البليميين وعلاقتهم بذلك الاحتلال [1] الذي دام أكثر من أربعمئة أو خمسمئة سنة، كما تتحدث أيضاً عن حضارة البليميين ومعمارهم وإنتاجهم الفني في الأثاث المنزلي والفخاري. وحفريات كرانوق [2] أوضحت أيضاً آثار لأقوام غير رعويين). [3].

هنا يختلط الحابل بالنابل في هذا السياق الذي يفترض أن يكون تاريخياً. ولا ندري من أين جاء اضطراب الياق على النحو الذي فات. هل هو من أندرو بول أم من المترجم، وما قيمة هذه الآثار التي خلفتها حضارة البليميين وإنتاجهم الفني، بل وما قيمة الآثار التي تم اكتشافها لأقوام آخرين غير رعاة.؟.

ويحسم أندرو بول أمره عن البليميين عندما يقول (يعتقد بأن البليميين بقوا إلى آخر لحظة على هيأتهم الصحراوية وطبيعتهم الرعوية. وأنا أوافق كيروان رأيه بأن تسمية البليميين استحدثها الرومان لأول مرة لتطلق على مجموعة القبائل الرعوية المنتشرة بين الحبشة ومصر والبحر الأحمر، وقد كانوا في ترحال مستمر، حالهم حال القبائل البجاوية في وقتنا الحاضر، والتي تقطن نفس الرقعة الجغرافية. وينوه كيروان - في موضع آخر - إلى تشتت البليميين على مساحة جغرافية واسعة على تباين قبائلهم وعشائرهم إضافة لسلوكهم الرعوي. ويوضح كل ذلك تضارب الآراء حولهم كما ورد في روايات المؤرخين والكتاب الكلاسيكيين). [4].

لقد أصاب وتراً من المفترض الانتباه لدراسته أندرو بول عندما تحدث عن (استحداث الرومان للأسماء). وقد تحدثنا عن ذلك من قبل. فالرومان عند حكمهم مصر، سموا الناس ومعالم أراضيهم بأسماء رومانية، لعلها (تفسيرية) لأصول الناس

1)يعني احتلال المكان في صعيد مصر.

2)أندرو بول – ص 45.

3)نفسه – ص 45.

4)نفسه – ص 45.

والأرض من أسماء. وقد صار شغلاً قد يترك الباحث - معه - كتابة التاريخ ليبحث ويفسر ويكتشف هذه الأسماء الرومانية ومغاليقها. وقد يكون لفظ (البليميين) من ضحايا هؤلاء الرومان. لكنه اسم شائع عند المؤرخين وجدته أينما بحثت، أو اتجهت.

ولا يحدد أندور بول القائل عندما يقول (هناك رأي آخر يرى أن البليميين لم يكونوا من البجا، وذلك لرعايتهم الجمال عكس البجا الذين يرعون الأبقار بصفة رئيسية، وهم كالبشاريين في لك. ومجموعات البجا تباينت في مستواها الحضاري والثقافي، كآكلي السمك البدائيين [1] الذين في أدنى درجات السلّم الحضاري، والبليميون اشتهروا بمستوى رفيع لحضارة متطورة ي الجانب الآخر من السلّم). [2].

القارئ لأندرو بول، فيما يختص بالبليميين، لا يقف على معلومة نهائية حاسمة، فهو يراوح بين مؤرخين يأخذ عنهم لينفي ما قالوا، أو ليثبت بعض ما قالوا، ثم لينفي ما أثبت. فهو يزاوج بين النفي والإثبات. لكن، لا شك في أنه جاء بمعلومات عن البجا قد لا نجدها عند غيره، على الرغم من أن البجا قابلوا كتابه هذا بنفور شديد - كما نبه لذلك مترجم الكتاب - وما كانوا سنفرون لو علموا أنهم يكتب التاريخ بفكر المركزية الأوربية.

الدكتور مصطفى محمد مسعد يأخذ عن أندرو بول. ولا نأخذ بما أخذ عنه، لكنه يأخذ - أيضاً - عن مؤرخين آخرين على اختلافهم في غير قليل من إفاداتهم التاريخية. ويذكر الدكتور مسعد البلو والبليميين والبليين وبلي التي يقال إنها قبيلة عربية هاجرت إلى ديار البجا وينسب إليها قطاع من البجا.

في خلاف تاريخي بين الفارز المؤرخ و ب. شيني يقول شيني: (الراجح أن هؤلاء النوبيين الذين أشار إليهم الفارز، تابعون لعلوة بدليل ما ذكره أن العرب يسيطرون على البلاد الواقعة جنوب مصر وهي مقرة بطبيعة الحال فضلاً عما ذكره أنهم يجاورون البلو) . [3]. ونحن لو راجعنا الخريطة التي أوردناها سابقاً، نجد أن البليميين (الذين نرى أنهم البلو) يتوسطون المسلمين والنوبيين في مملكة مريس (نوباتيا) إلى الشمال من مقرة.

---

1) أندرو بول – مصدر سابق – ص 45.

2)نفسه – ص 46.

3)د. مصطفى محمد مسعد – مصدر سابق – ص 17.

ويقول عن البليميين (اعتقد البعض اعتماداً على ما ذكره المؤرخ أوليمبيودوروس أن البليميين هم أصحاب الثقافة × لأن هذا المؤرخ لاحظ أن البليميين يحتلون خمس مدن على النيل من أبريم إلى فيلة في أواخر القرن الخامس الميلادي،وفي هذه المنطقة ذاتها عثر على آثار المجموعة الثقافية ×) . [1].

على الرغم من هذا الإثبات، يذهب د. مسعد إلى القول أنه (من الصعب التسليم بالرأي الذي قاله المؤرخ أوليمبيودوروس لأن البقايا التي عثر عليها في مقابر المجموعة الثقافية × تدل على أن أصحابها كانوا قوماً مستقرين يمارسون الزراعة على حين أن البليميين شعب رعوي متنقل. ثم إن وجودهم في هذه المنطقة، كان مؤقتاً لم يلبثوا أن طردوا منها على يد الملك سلكو). [2]

ويواصل د. مسعد ليقول (بفحص الجماجم لوحظ وجود نسبة كبيرة من الدماء الزنجية، وهي تختلف عن تلك التي وجدت في مقابر المجموعتين الثقافيتين B–A وهي تنسب للجنس الحامي، وينسب إليه البليميون. على حين أن البليميين لم يتخطوا إبريم في المدة التي استقروا فيها مؤقتاً على النيل). [3].

على الرغم من النفي السابق (حتى عند د. مصطفى محمد مسعد) ذلك إذا خلّينا أندرو بول وراءنا، نجد أن البليميين كانوا في حوض النيل - مؤقتاً - ولم يتخطوا إبريم إلى الجنوب، وإبريم قرية مشهورة في ديار النوبة المصريين الآن. إذن، حتى هنا، نجد البليميين هم القطاع البشري البجاوي الذي كان في وادي النيل في الموضع الذي حددناه في الخريطة السابقة. لكن، من يدري، ربما نجد قولاً عنهم فيما يلي.

حتى الآن لم نقف على من هم البليميون، في اضطراب الواقع التاريخي في كتابته هذه التي نراها. فأقصى ما يقوله د. مصطفى محمد مسعد عنهم هو (الظاهر أن البليميين هم البجا أو شعبة منهم، ولو صح أنهم من البجا لأصبحوا يعتبرون من الجنس الحامي الذي عبر البحر الأحمر من جزيرة العرب منذ أقدم العصور. ويرى سلجمان أنهم

---

1)المصدر نفسه – ص 17.

2)المصدر نفسه – ص 17.

3)المصدر نفسه – ص 18.

من نفس سلالة قدماء المصريين واقتبسوا من حضارتهم وتعلموا الزراعة واستئناس الحيوان). [1]. وهذا لا نرى أنه يعد تعريفاً لهم.

لقد مر قول أندرو بول أن الحداربة (الحضارمة) هم البلو. والحداربة الآن يميلون في استيطانهم إلى إرتريا أكثر من السودان، وهم متجانسون مع البني عامر الذين يمتدون في الدولتين. كما عند د. مصطفى محمد مسعد هم البليون. [2].

ويبدو أن قبيلة (بلي) لم تهاجر إلى ديار البجا. يقول اليعقوبي (كانت بلي فرعاً من قضاعة من حمير، والمعروف أن قبيلة بلي كانت تنزل سيناء، وامتدت مواطنها إلى برزخ السويس، ثم تجاوزتها إلى الصحراء الشرقية، وقد ترجع مطالع هجراتها إلى القرن الثالث قبل الميلاد حين بدأ اهتمام البطالمة بتجارة البحر الأحمر، وإنشاء الموانئ على طول ساحله الأفريقي، ويبدو أن الجماعات العربية من بلي كانت من القوة والكثرة العددية بحيث غدا اسمها في اللغة التبداوية مرادفاً للفظ عرب أو عربي. وجاءت مع الفتح العربي لمصر جماعات أخرى من قبائل بلي، واستقرت في الصحراء الشرقية، على حين سكن بعضهم في إخميم). [3].وفق هذا، كانت قبيلة بلي قد هاجرت إلى مصر حيث الصحراء الشرقية وبلدة إخميم. وحال (بلي) هنا كحال الزبيدية، القبيلة اليمنية التي كانت لها تجارة في البحر الأحمر والتعامل مع البجا، ثم كان أن أطلق اسمهم على الرشايدة عندما هاجروا إلى ساحل البحر الأحمر أول أمرهم. فقد بقي اسمهم لدى البجا وتباعدت رسومهم. لكن، كيف وصل المؤرخين أن قبيلة (بلي) هاجرت لبلاد البجا؟.

يقول الادريسي (لعل أبرز الجماعات العربية وأقدمها صلة بأوطان البجا هم جماعات بلي القحطانيين الذين شاركوا في النشاط التجاري على ساحل البحر الأحمر). [4].
فالعلاقة بين قبيلة بلي علاقة تجارية امتدت من الساحل الشرقي للبحر الأحمر إلى الساحل الغربي، وكقبيلة زبيد اليمنية لم يختلط أفرادها ولا جماعاتها بالبجا.

1) مصطفى محمد مسعد – مصدر سابق – ص 28.

2)نفسه – ص 128.

3)نفسه – المكتبة السودانية – ص 12.

4) أحمد الياس حسين – مصدر سابق – ص 131.

وفي كتاب المكتبة السودانية للدكتور مصطفى محمد مسعد نقلاً عن أبي صالح الأرمني أنه (تبعد إبريم عن الدِر وكرسكو ببضعة أميال. ويبدو أنها كانت في القرن السادس تمثل الحد الجنوبي للمنطقة التي احتلها البليميون). [1]. وعن الإدريسي يأتي القول (لعل البليين هم بقايا البليميين القدماء الذين بسطوا سلطانهم على البجا الشماليين في العصر البلطلمي ثم الروماني في مصر، وكونوا طبقة حاكمة عرفوا بها). [2].

دون اعتماد لفظ (بلي) القبيلة العربية المهاجرة إلى ديار البجا في نظر المؤرخين الذين يرون أن في لفظ (بلويت) للعرب والعربي إشارة لهم، نرى أن ألفاظ (بليميين - بلويين - بلو) يجمع بينها أنها لمسمى واحد هو البليين. وقد تباينت هذه المفردات في حروفها فحسب، نحدس ذلك في اختلافات أسماء الناس والأماكن في المصادر التاريخية.

المثال على ذلك القول (وفي إبريم آثار رومانية، وذلك على الرغم من أنها لم تكن جزءاً من الولاية الرومانية، ولكنها كانت بمثابة قلعة رومانية للدفاع عن إقليم دوريكاثينوس، مريس). [3]. وهذا الاسم الغليظ، اسم روماني لمملكة نوباتيا التي بينها وبين مسلمي مصر كان البجا المفترضون، ومريس لفظ قبطي يعني (الجنوب) في معنى مملكة نوباتياني موضعها .

الدكتور أحمد الياس حسين، على الرغم من أنه أسهب في الحديث عن البجا، إلا أنه لم يذكر البليميين وقبيلة بلي بتوسع. يقول عن البلميين (البليميون هو الاسم الذي أطلقته الآثار الفرعونية والكوشية والمصادر اليونانية على سكان منطقة النيل الواقعة جنوب أسوان في القرون السابقة للميلاد). وربما كان وجود البليميين أكثر تركيزاً على منطقة النيل). [4]. وفي هذه الاشارة المهمة، نجد أن لفظ (البليميين) ليس اسماً للبجا ولا شعبة منهم، بل هو من تلك الأسماء الرومانية أو المصرية القديمة أو اللاتينية أو القبطية التي تحدثنا عنها. وهو اسم لا يعبر عن البجا وليس من لغتهم تبداويت. لكن

1)نفسه – ص 139.

2)نفسه – ص 131.

3)نفسه – ص 139.

4)د. أحمد الياس حسين – السودان، الوعي بالذات – ص 66.

المؤرخين يستخدمونه في الإشارة إلى والدلالة على البجا. لكن اسم (البليميين) أطلق على من هم في منطقة جنوب أسوان، وفي الغالب أطلق على البجا هناك ربما كوصف.

في أسلاف البجا، يذكر د. أحمد الياس حسين المِجا والبليم والبجا. و (بليم) هو الذي تحول إلى البليميين. ولعل هذه الأسماء غريبة عن البجا أيضاً. يقول د. أحمد الياس (لقد ربط الباحثون بين البليميين والمِجا، مما يرجح أنهم كانوا عائشين معاً في المنطقة نفسها (أي جنوب أسوان) وقد وضّحت الآثار أن البليميين دخلوا منطقة النيل في القرن السابع قبل الميلاد، وتسجل السجلات المروية أنهم استقروا منذ القرن الخامس ق.م. على طول المنطقة الواقعة من أسوان حتى منطقة دنقلا). [1].

من المعلومات المهمة التي يذكرها د. أحمد الياس حسين، وذلك في خبر الرحالة ابن بطوطة. يقول (سار ابن بطوطة نحو النيل في صعيد مصر، وتحدث عن عرب جهينة وبين كاهل. ذكر في المرة الأولى أن أولاد كاهل (الكواهلة) مختلطون بالبجة، عارفين بلسانهم. ووضح أن طاعتهم للبجة كما تناولها أثناء حديثه عن عساكر سلطان سواكن المكونين من البجاة وأولاد كاهل وعرب جهينة). [2]. والحق أن الكواهلة يجاورون البجا حتى الآن، وهم عارفون بلسانهم يتحدثونه كالبجا.

ويواصل قائلاً: (يلاحظ أن هؤلاء العرب هم الوحيدون الذين رآهم ابن بطوطة في مناطق البجة التي مر بها، باستثناء الفتى العربي الذي ذكر أن البجة أسرته. وإذا تذكرنا أن ابن بطوطة مرّ بهذه المناطق بعد انهيار مملكة المقرة المسيحية، وما تردد عن اجتياح القبائل العربية للسودان، بعد انهيار تلك المملكة، يتبادر إلى ذهننا سؤال مهم: أين أولئك العرب الذين تناولت المراجع العربية وغير العربية اجتياحها السودان؟. لماذا لم يلاحظها أو يكتب عنها ابن بطوطة، وهو الذي كتب عن عربي وجده بين البجة و ذلك الصبي؟. [3].

1) نفسه – ص 66.

2) د. أحمد الياس حسين – السودان، الوعي بالذات – ص 70.

3) نفسه – ص 83.

لقد كانت رحلة ابن بطوطة قد وصل فيها إلى عيذاب وقد أتى إليها من صعيد مصر عام 1325م، وهو قد تعرض للقبائل العربية التي كانت تعيش مع البجا. وقد (وضح ابن بطوطة أن عيذاب مدينة كبيرة، وسكانها البجة، وقصد بالبجة هنا الحداربة). [1].

ويسترسل د. أحمد الياس قائلاً (لقد وضح ابن بطوطة أن البجة (الحداربة) لا يورثون البنات. وهذا ينفي ما ورد في بعض المصادر العربية عن عادة في توريث ابن البنت وابن الأخت دون ولد الصلب. ورجّحنا ما قاله ابن بطوطة مستشهدين ببعض الأدلة. ولو أخذنا بذلك، ينبغي علينا مراجعة ما دأبت عليه المراجع الحديثة على الاستدلال به، من أن العرب تزوجوا بنات الزعماء المحليين في السودان وورثوا السلطة كما جرت عليه عادة توريث ابن البنت). [2].

هنا، أسئلة نوردها في نقاط ونناقشها:

إن الدكتور أحمد الياس حسين يأخذ بما قال ابن بطوطة أن الحداربة من البجا. وهذا ينفي تماماً أن الحداربة عرب هاجروا من حضرموت واستوطنوا في ديار البجا. وهناك رأي أن البجا - أنفسهم - حميريون نزحوا إلى المواضع التي هم فيها الآن. وامتدوا في ساحل البحر الأحمر حتى ميناء عيذاب. فكون الحداربة بجا في الأصل يلغي كثيراً من التاريخ المكتوب في أنه ليس هناك عرب في أوساط البجا، لا الحداربة ولا الأشراف أو غيرهما.

الدليل على ذلك، أن ابن بطوطة لم يجد في أوساط البجا إلا صبياً واحداً أهله ومتعهدوه بجا.

يقود ذلك، إلى نفي ما يقال عن تزاوج عرب ربيعة وجهينة مع البجا، وأنهم كانوا - فقط - باحثين عن الذهب والزمرد في ديار البجا. وأنهم نزحوا لهناك تحت ضغط حكام مصر واضطهادهم هناك، ثم تلاشى وجودهم في ديار البجا.

---

1) نفسه – ص 80.

2) د. أحمد الياس حسين – السودان، الوعي بالذات – ص 81.

يحيلنا اعتماد د. أحمد الياس حسين لقول ابن بطوطة عن امتناع البجا (يمثلهم الحداربة هنا) عن تزويج ابن البنت وابن الأخت، الأمر الذي يردده المؤرخون كعادة عند البجا والنوبيين. يحيلنا إلى إعادة سؤالنا عن تصاهر العرب معهما - وهو سؤال استنكاري هو: من من العرب تزوج مَنْ مِن بنات النوبيين والبجا من بنات البنت وبنت الأخت، وأنجب من؟ حتى نكون على بينة من هذا التصاهر الذي ما تقرأ لمؤرخ إلا وذكره كحقيقة تاريخية لا تقبل الجدل.

يدخل في ذلك خدش الهوية، هوية أهل السودان. فالحداربة - مثلاً - ربما توطن في أذهانهم أنهم عرب، الأمر الذي جعل ذلك ثابتاً كمسلمة لا جدال فيها. ولعل الأنساب التي أمر عمارة دنقس بوضعها في بدايات القرن السادس عشر الميلادي، فقام بها السمرقندي ورهطه، وزاد عليها أهل الدين أشجار نسب كتبوها تؤرخ لأنسابهم، كانت خيطاً خيطاً للإمساك بهوية ما. لكن، أن تعتقد القبيلة أو فرد منها في هوية عرقية، ويسلّم بها، ثم يكتشف زيف هويته هذه، أمر جلل، لا سيما الهوية العرقية.

••

للمؤرخ هارولد أ. ماكمايكل سهمه التاريخي عن البجا عموماً، وعن مواطنهم التي شغلوها. لكن المدخل لقراءة ماكمايكل - في رأينا - إفاداته عن البجا. وهي إفادات لا تتفق مع ما أوردنا من قبل، كما تتفق - في بعض الأحيان مع ما ورد. وفي كل الأحوال، لا يقدّر الباحث أن سيتخلّى عن ماكمايكل في كتابه عن تاريخ العرب وغير العرب في السودان.

ينزع هارولد ماكمايكل نحو اكتشاف الأجناس البجاوية بتركيز واضح. وذلك تحت عنوان (البجة والبليميين ونوبة مروي). ولما كان كتابه (تاريخ العرب في السودان) حوالى عام 1922م، بعد عنه أن اسم البليميين قد أطلقه الرومان على البجا كما مر من قبل. خاصة، وقد ظهر مسمى (البجا) منذ زمن بعيد وقديم كان في مقدوره الأخذ به. يقول في مفتتح كتابه (فلنتجه الآن نحو الصحراء الشرقية فيما بين النيل والبحر الأحمر حيث عاش هناك البجة الحاميون في القرن السابع [1]، والذين ربما يكونون في

1) د. أحمد الياس حسين – السودان، الوعي بالذات

العهود الضبابية الموغلة في القدم ووفدوا من الجزيرة العربية وربما تحمل أشكالهم الحالية أشكال الأسرات المصرية القديمة). [1].

لعل ما قال ماكمايكل - هنا - يعيدنا إلى أن البجا من حمير مهاجرون إلى ديارهم التي هم فيها الآن. لكن البجا راسخون في مواطنهم هذه منذ القدم كعناصر حامية من ولد سيدنا نوح عليه السلام.

يقول الدكتور أحمد الياس حسين وهو يتحدث عن عناصر هذه البلاد (في نهاية استعراضنا لقبائل شرق السودان يمكننا القول إن تلك القبائل انتشرت قبل دخول الاسلام في أفريقيا على مساحات واسعة بين الهضبة الاثيوبية جنوباً وحتى الصحراء الشرقية في صعيد مصر شمالاً، ومن النيل شرقاً حتى البحر الأحمر. وكان لبعضها وجود واضح ومؤثر على مناطق نهر النيل ما بين حلفا جنوباً حتى الأُقصر شمالاً. وكانوا حكاماً لبعض تلك المناطق. وقد عرفوا الحضارات القديمة. ثم ظهر اسم البجة للدلالة على سكان المنطقة في نقش عيزانا في القرن الرابع الميلادي، وساد استخدامه بعد ذلك في المصادر العربية للدلالة على كل القبائل البجاوية التي تعرفوا عليها، والتي جاءت أسماؤها في كتاباتهم مختلفة عن أسماء قبائل البجة الحالية فيما عدا القليل منها). [2].

في خلاصته لما قال عن قبائل البجا (كياناتهم المختلفة) هذه، لم يشر د. أحمد الياس لهجرة كيان بجاوي من خارج أرض البجا إلى ديارهم. بل هو قد عرض لكيان الحداربة الذين كان المؤرخين متمسكين بهجرتهم إلى تلك الديار نافياً كل ما قالوا. وفيما نرى، ليس هناك قطاع مهاجر من البجا وسطهم الآن.

في حديث له عن البليميين، يقول ماكمايكل (زار أولمبيودروس منطقتهم فيما بين الأعوام 407-425م. وقد خص إبريم (60-70 ميلاً أدنى حلفا) كأخر مدنهم في النيل. وفي نقش (سلكو) الذي حارب معهم في القرن السادس ما يعضد هذا الرأي. وينطبق اسم البليميين على بدو الصحراء الذين يفترض أنهم البجة المتاخمين للبحر

1) هـ.أ. ماكمايكل – مصدر سابق – جـ1 – ص 57.

2) د. أحمد الياس حسين – مصدر سابق – ص 134.

الأحمر. وكان مؤرخون ومنهم أولمبيودروس، قد أشاروا لهؤلاء البليميين ووصفوهم بأنهم بالقرب من (سيني) أي (أسوان) والشلالات). [1].

كما كررنا من قبل، فإن المسمى (بليميين) لا ينبغي أن يطلق على البجا في الدراسات الحديثة، فقد كان الاسم - قديماً - قد قُصد به البجا. ونحن نحدس أن عبارة (وينطبق اسم البليميين على بدو الصحراء مقحمة في الحديث عن البجا من دون أن يكون له أي دلالة تاريخية إلا في أفواه من قالوا به في الفترة الكلاسيكية.

ويقول ماكمايكل: من أُطلق عليهم اسم البليميين عاشوا أساساً في وادي النيل أدنى [2] النوبة على تخوم مصر، وإن شعب الشرق والجنوب الشرقي - أي ما بين النيل والبحر الأحمر - الذين أسبغ عليهم المؤرخون هذا الاسم بوجه مبهم، هم - في الواقع يتسمون باسم آخر. وكان أوائل الكتاب المسيحين متوافقين في إطلاق هذه التسمية، أي استخدام اسم البلميين في الإشارة إلى البجا الحاليين والذين يبدو أنهم من نفس النوع البشري). [3].

يرى ماكمايكل أن إطلاق اسم (البلميين) على البجا كان على وجه مبهم. لكنه، إذا وضعنا في الاعتبار أن الاسم قديم قدم البجا أنفسهم. ولم يكن الاسم مبهماً في زمانه عندما جاء على لسان الرومان، ككلمة نابعة من الغة الرومانية. والحق أننا في حاجة ماسة لاعادة النظر في المفردات التي نجدها عند البجا والنوبيينالمجاورين لمصر ابان حكم الرومان لها.

لقد كان من أسماء البجا مثلاً:

الترجلدايت:

وهو وصف لسكان الكهوف في كثير من بقاع العالم، خاصة في تونس وليبيا وأعالي النيل والبحر الأحمر.

---

1)هـ. ماكمايكل – مصدر سابق – ص 59.

2)أدنى هنا تعني شمال.

3) هـ. ماكمايكل – مصدر سابق – ص 60.

المِجا:

ولعله جاء بقلب بقلب الباء ميماً.

المجباري:

وهو الاسم الذي أطلقته المصادر القديمة على السكان الأصليين القدماء على الساحل الغربي للبحر الأحمر، والذين تجولوا في المناطق الشمالية ما بين البحر الأحمر ونهر النيل. وقد امتدت مناطق استيطان هذه الفئة من مواطن البجة الحالية في السودان وحتى المنطقة الواقعة بين الأقصر والبحر الأحمر في الحدود المصرية الحالية شمالاً.

البليميون:

وهو الاسم الذي اطلقته الآثار الفرعونية والكوشية، والمصادر اليونانية والرومانية على سكان منطقة النيل الواقعة جنوبي أسوان. [1].

ذلك إضافة إلى مفردات لا حصر لها لأسماء الأماكن - أماكن الساكنين على حوض النيل على الأخص - ويا حبذا لو تصدى باحث لدراستها وردها إلى أسمائها الحقيقية مع ملاحظة أن كل الأسماء التي أوردناها صارت عربية بإلحاق (أل التعريفية) لها. وهي من لوازم اللغة العربية فقط.

1)د. أحمد الياس حسين – مصدر سابق – ص 65–66.

مفردات مشتركة بين النوبيّة والبجاويّة

تستدعي كتابة اللغة النوبية والبجاوية بالحرف اللاتيني نسبة لأن الحرف العربي لا يوافيها حقها في النطق. فنحن نجد في اللغات غير العربية أحد عشر حرفاً لا وجود لها في اللغتين هي: الثاء والذال والحاء والخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف المقلقلة. وفي الانجليزية نجد كل مفردات اللغتين تقريباً. مع ملاحظة أن البجا غالباً ما ينطقون الزاي دالاً.

وكمفتاح لقراءة المفردات سواء كانت بجاوية أو نوبية وفق نطق الحرف في اللغة الانجليزية وبالتالي امكان قراءته على وجه أقرب، نضع الحروف الآتية:

a	للهمزة والألف
b	للباء.
t	للتاء.
j	للجيم.
d	للدال.
r	للراء.
s	للسين.
sh	للشين.
f	للفاء.
g	للقاف المخففة كما في العامية السودانية.
k	للكاف.
L	للام.
M	للميم.
N-n	للنون.
h	للهاء.
w	للواو.
y	للياء.

وفي النوبية والبجاوية ومعظم اللغات الأفريقية في السودان خمس حركات قصيرة،

وخمس حركات طويلة vowels هي:

• الحركات القصيرة:

a للفتح.
i للكسر.
u للضم.
o للإمالة القصيرة بالضم في مثل long.
E الإمالة القصيرة بالكسر في مثل Leg.

• الحركات الطويلة Long vowels:

ā للمد بالفتح.
ī للمد بالكسر.
ū للمد بالضم.
ō للمد بالإمالة الطويلة بالضم.
ē للمد بالإمالة الطويلة بالكسر.

أدناه نورد الكلمات البجاوية مع معناها ومقابلها النوبي ومعناه، مع كتابة الكلمة بالحرف اللاتيني في الحالتين. بلغة nobīn.

أراريب arārēb. وهو نبات في البجاوية. وفي النوبية أراريب arārēb للنبات المتكاثف.

بادوب bādōb أرض صالحة للزراعة الطيبة في البجاوية، وفي النوبية bādōb في ذات المعنى.

بقون bagōn في لغة انداندي fagon فما هي باء في نوبين باء في اندانـدي والعكس صحيح. والكلمة لفصل الصيف. وقد تعني الأرض الخصبة.

حمريب hamarēb ضرب من النبات قوي الرائحة وعلاج شعبي، وفي النوبية hamarēb.

دوف dōf في البجاوية اللحم دون عظام، وفي النوبية nobīn اللحم والشحم معاً.

أربش erbish في البجاوية الودع إذا جاء كله على وجهه الأبيض. وفي النوبية إذا جاء الجريد كله على وجهه الأبيض في لعبة الطاب.

شمبورة. قضيب الذكر، وفي نوبين المحس شمبي shambe.

أتمور atmūr ما يقال له عتمور في العامية السودانية، وهي بالهمزة لا العين في اللغتين.

قجة. gujjah شعر ناصية الرأس إذا طال في اللغتين.

قيف. gēf المكان المرتفع من الشاطئ في اللغتين.

كرورية. korōriyyaلفة الخيط في اللغتين.

كرتوب kartob البالي القديم من الأوعية في اللغتين.

نديب nedēb في البجاوية للساق. وفي النوبية (nobin) اديب edēb للساق.

عنقريب angarēb في البجاوية للسرير الشعبي. وفي لغة nobin انقرى angarē. [1].

إن الوجود البجاوي في الحوض النوبي، في امتدادهم للجنوب، ومجاورة النوبيين في حاجة إلى دراسات أكثر عمقاً. وما قلنا هنا خيط يمكن الإمساك به فحسب.

1)المصدر: ميرغني ديشاب – البجاوية في شعر بوادي السودان– مخطوط.

المصادر والمراجع:

(1) أحمد ابراهيم عبدالله أبوسن - تاريخ الشكرية ونماذج من شعر البطانة - ط 2 - شركة مطابع السودان للعملة - الخرطوم - 2011م.

(2) أحمد الياس حسين - السودان - الوعي بالذات وتأصيل الهوية - جـ2 - شركة مطابع السودان للعملة - 2012م.

(3) أحمد حسن حامد الحياني - الرشايدة في السودان، التاريخ والحياة الاجتماعية - شركة مطابع السودان للعملة - الخرطوم - 2007م.

(4) الأمين أبومنقة ويوسف الخليفة أبوبكر - أوضاع اللغة في السودان - معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية - 2006م.

(5) أندرو بول - تاريخ قبائل البجا بشرق السودان - ترجمةأوشيك آدم علي - ط–2 مطبعة التراضي - الخرطوم - 1997م.

(6) بيتر أ. شيني - مروي حضارة سودانية - تعريب أحمد المعتصم الشيخ - إدارة البحث العلمي - جامعة الخرطوم - 2017م.

(7) جاي اسبولدنق - عصر البطولة في سنار - تعريب أحمد المعتصم الشيخ -هيئة الخرطوم للصحافة والنشر - 2011م.

(8) جون لويس بوركهارت - رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان – ترجمة فؤاد أندراوس - المركز القومي للترجمة - القاهرة - 2016م.

(9) حسن محمد مضوي - ملامح من قبيلة المعاليا - شركة مدحة للانتج الفني - الخرطوم - 2008م.

(10) حمد الجاسر - مجلة العرب - الرياض - مارس/ أبريل - 1989م.

(11) سامية بشير دفع الله - نوبة النيل - أصلهم ودورهم في تاريخ السودان القديم - دار المصورات للنشر - الخرطوم - ط1 - 2017م.

(12) شوقي ضيف - تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي - دار المعارف - مصر - ط25 - 2004م.

(13) عبدالعظيم ميرغني ابراهيم - الكنوز - شركة السودان للعملة - الخرطوم - 2014م.

(14) عثمان حسن بابكر - ملامح من قبيلة الشكرية في سهل البطانة وشرق السودان - بدون تاريخ ودار نشر.

(15) علي بن الحسين (المسعودي) - مروج الذهب - جـ3 - ص 41.

(16) في مصطفى محمد مسعد - الاسلام والنوبة في العصور الوسطى - ص 129.

(17) عبدالرحمن بن خلدون - العبر - جـ5 - في د. مسعد - الاسلام والنوبة - مصدر سابق - ص

(18) عون الشريف قاسم - قاموس اللهجة العامية في السودان - الدار السودانية للكتب - الشركة الدولية للطباعة - مصر - ط-3 2002م.

(19) عون الشريف قاسم - موسوعة القبائل والأنساب في السودان - شركة اثنوغراف للطباعة والتغليف - الخرطوم - ط3 - 1996م.

(20) مبروك مبارك سليم الرشيدي - الرشايدة، طنايا عبس في السودان - مركز فجر للطباعة والنشر - القاهرة - 1996م.

(21) محمد سليمان صالح ضرار - أمير الشرق عثمان دقنة - الدار السودانية للكتب - بدون تاريخ.

(22) محمد النور بن ضيف الله - كتاب الطبقات في خصوص الأولياء الصالحين والعلماء والشعراء في السودان - تعليق وتحقيق يوسف فضل حسن - سوداتك - ط5 - 2012م.

(23) محمود محمد الحسن - القضايا العربية في الشعر السوداني - ملتقى الخرطوم لنقد الشعر السوداني - بيت الشعر - الخرطوم - الدورة الثانية - 2019م.

(24) مصطفى محمد مسعد - الاسلام والنوبة في العصور الوسطى - دار المصورات للنشر - الخرطوم - 2011م.

(25) مصطفى محمد مسعد - المكتبة السودانية العربية – مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى - دار المصورات للنشر - الخرطوم - ط2 - 2014م.

(26) ميرغني ديشاب - البجا، التاريخ واللغة - مخطوط.

(27) ميرغني ديشاب - البجاوية في شعر بوادي السودان - مخطوط.

(28) ميرغني ديشاب - النوبية في عامية السودان العربية - منشورات مجموعة شركات دال - 2012م..

(29) ميرغني ديشاب - الكوشيون في السودان - كتاب قيد الطبع.

(30) ميرغني ديشاب - الرشايدة سلالة عبس في السودان - شركة مطابع السودان للعملة - 2016م.

(31) ميرغني ديشاب - الفروق الصوتية والمفرداتية عند الناطقين بلغة نوبين - مخطوط

(32) نعوم شقير - تاريخ السودان - تحقيق محمد ابراهيم أبو سليم - دار الثقافة - بيروت - 1967م.

(33) هارولد أ. ماكمايكل - تاريخ العرب في السودان بما فيهم الشعوب التي سبقتهم وسكان دارفور - تعريب سيد علي محمد ديدان - جـ1 - ط2 - مكتبة الدار البيضاء للنشر والتوزيع - الخرطوم - 2013م.

(34) يوسف فضل حسن - دراسات في تاريخ السودان - دار جامعة الخرطوم للنشر - 1975 م.

رقم الإيداع (770/ 2021)

صفحات منسية من شرق السودان - ميرغني ديشاب

ISBN 978-99988-0-377-0 ردمك
رقم الإيداع:2021/770

